عدالة السماء

أجاثا كريستي



القصص العالمية للجميع

عدالة السماء

اجاثا كريستي

ترجمة
د. فاروق خواتمي

منشورات
المكتبة الحديثة - بيروت
دار الشرق العربي - بيروت

أجاثا كريستي

بقلم أجاثا كريستي

ولدت في مقاطعة ديفونشير بانجلترا ، وقضيت طفولة سعيدة الى اقصى درجات السعادة ، تكاد تكون خلوا تماما من اعباء الدروس والاستذكار ، فانفسح لى الوقت كى أتجول فى حديقة بيتنا الواسعة واسبح مع الخيال ما شاء لى الهوى

والى والدتى يرجع الفضل فى اتجاهى الى الكتابة والتاليف ، فقد كانت سيدة ذات فتنة ، ساحرة الشخصية ، قوية التاثير ، وكانت تعتقد اعتقادا واسعا ان اطفالها قادرون على كل شيء .. ففى ذات يوم ــ وقد اصبت ببرد شديد الزمنى الفراش ــ قالت لى :

ــ خير لك ان تقطعى الوقت بكتابة قصة قصيرة وانت فى فراشك

ــ ولكنى لا اعرف ..

ــ لا تقولى لا اعرف ، فانك « طبعا » تعرفين ... حاولى فقط وسترين

وحاولت ، ووجدت متعة فى المحاولة ، فقضيت السنوات القليلة التالية أكتب قصصا قابضة للصدر ، يموت معظم ابطالها ، كما كتبت مقطوعات من الشعر ورواية طويلة احتشد فيها عدد هائل من الشخصيات بحيث كانوا يختلطون ويختفون لشدة الزحام.ثم خطر لى ان اكتب رواية بوليسية، ففعلت واشتد بى الطرب حينما قبلت الرواية ونشرت ... وكنت حين كتبتها متطوعة فى مستشفى تابع للصليب الاحمر ابان الحرب العالمية الاولى

واذا سالتمونى عن ميولى ، فاعلموا انى احب الأكل وأكره طعم كل مشروب يدخل فى صناعته الكحول ، واننى حاولت التدخين مرارا فلم أجد ما يغرينى بالمداومة عليه . ولكنى اعبد الأزهار ، واهيم بالبحر وأحب المسرح ، وأكره الافلام الناطقة ، ويعجز تفكيرى عن متابعتها ، وأكره الاذاعة وكل ما يحدث ضجة وضوضاء ، وأكره حياة المدن

وهوايتى السفر ، ولا سيما فى بلدان الشرق الادنى لاننى أحب الصحراء حبا جما

اهم شخصيات الرواية

هيركيول بوارو « Hercule Poirot » المخبر السرى الخاص

آمياس كريل « Amyas Crale » الفنان المتقلب

كارولين كريل « Caroline Crale » زوجة الرسام المتهمة بالقتل

كارلا لامرشانت « Carla Lemarchant » ابنة كارولين والرسام كريل

جون رايترى « John Rattery » خطيب كارلا لامرشانت

فيليب بليك « Philip Blake » سمسار بالبورصة والصديق الوفى للرسام كريل

ميرديث بليك « Meredith Blake » من الاعيان والشقيق الاكبر لفيليب بليك

الزا جرير « Elsa Greer » غانية لعوب واسعة الثراء

انجيلا وارين « Angela Warren » الأخت غير الشقيقة لكارولين كريل

سيسيليا ويليامز « Cecilia Williams » المربية الخاصة **لانجيلا وارين**

مفتش البوليس هيل « Superintendent Hale »

الفصل الأول

الحسناء كارلا

نظر هيركيول بوارو في شيء من الفضول والاعجاب الى الغادة الحسناء التي راحت تقترب من مكتبه

لم يكن في الرسالة القصيرة التي بعثت بها اليه شيء واضح ، مجرد رجاء بأن يحدد لها موعدا للمقابلة • ولا شيء غير هذا الا التوقيع باسمها : كارلا لامرشانت

وها هي ذي تأتي اليه بنفسها في الموعد المحدد : طويلة،رشيقة، في أوج الشباب ، في نحو الثانية والعشرين ، جميلة ، أنيقة ، تنم ثيابها عن موفور ثرائهـا ، وينبيء تألق عينيها الجميلتين عن فيض الصبا والحيوية والنضارة

لقدكان هيركيول‌بوارو ـ قبل دخولها ـ يشعر بدبيب‌الشيخوخة اما الآن ، وهي تقبل نحوه ، فانه ينتفض بقوة الحياة

وفيما هو يتقدم نحوها مصافحا ، كان يشعر بعينيها الرماديتين تمعنان النظر الى وجهه ، وكأنما تريد الفتـاة أن تنفـذ الى أعمق أعماقه

وجلست الى المكتب ، وتقبلت لفافة التبغ التي قدمها اليهـا ، وبعد اشعالها ، راحت تدخن في هـدوء دقيقة أو اثنتين ، وهي لا تزال تمعن النظر اليه في اهتمام وتفكير

وقال بوارو في رفق :

ـ نعم ، ينبغي أولا أن تتأكدي

فقالت في صوت المفاجأ :

ـ أوه ، أرجو المعذرة ، ماذا ؟

ـ انك تتساءلين في نفسك : هل أنا حقا الرجل البارع في كشف غوامض الجرائم ، أم مجرد طبل أجوف ؟

وابتسمت وقاطعته قائلة بصوتها الموسيقى الرقيق :

ـ نعم ، نعم هذا صحيح ، فالواقع انك يا مسيو بوارو لا تبدو في الصورة التي كنت أتخيلها عنك !

ـ وعجوز أيضا ؟ أليس كذلك ؟ أكبر سنا مما كنت تتوقعين !

ـ نعم انني ، كما ترى ، صريحة . والواقع اني أريد أن أعهد بمهمتي الى خير من يصلح للقيام بها

ـ اطمئني من هذه الناحية ، فاني الرجل المنشود

ـ يبدو أنك لا تعترف بشيء اسمه التواضع يا مسيو بوارو !

ـ انني أعترف بالحقائق فقط

ـ حسنا ، لسوف أعتمد عليك رغم المظاهر !

فقال بوارو بهدوء :

ـ ان الانسان لا يحتاج دائما الى استعمال عضلاته في الابحاث الجنائية ، بل انني أحيانا لا ألجأ الى الانحناء على الارض ، وشم التراب ، وقياس الآثار ، واختبار ميل العشب لأتعرف على اتجاه السير ، وانما يكفي في كثير من الاحيان أن أجلس ، وأفكر

ثم نقر على رأسه الصلعاء المستديرة كالكرة ، وأردف قائلا :

ـ هذه هي التي تقوم بكل ما ينبغي القيام به

ـ انني أعرف ، وهذا ما حفزني للحضور اليك ، فاني أريد أن تقوم لي بمهمة عجيبة

ـ لقد أثرت فضولي

ـ ان اسمي ليس « كارلا » وانما كارولين ، على اسم أمي ... لقد سمتني باسمها ، وأما « لامرشانت » فهو ليس اسم أبي ، ان أبي هو أمياس كريل

فقطب بوارو جبينه مفكرا ، ثم قال :

ـ أمياس كريل .. أمياس كريل ، يخيل الى أني أعرف هذا الاسم

ـ انه رسام معروف ، ويؤكد بعض المعجبين به أنه من أكبر

الرسامين الفنانين ، وأنا أعتقد هذا أيضا

ـ نعم ، نعم أمياس كريل ، ولكنني أحاول أن أتذكره بمناسبة أخرى

ـ لقد مات قتيلا ، واتهمت أمي كارولين بقتله !

ـ آه تماما ، اني أتذكر الآن ، لقد كنت يومذاك في الخارج ، وأعتقد أن هذا قد حدث منذ سنوات طوال

ـ ستة عشر عاما !

وأردفت الفتاة قائلة ، بوجه شاحب ، وعينين زاد بريقهما :

ـ هل تفهم ؟ لقد حوكمت أمي ، وصدر الحكم بادانتها ، ولكنها لم تشنق بسبب وجود ظروف مخففة أحاطت بالحادث ، وهكذا عدل الحكم الى السجن المؤبد ، ولكنها ماتت بعد المحاكمة بعام ، ومن ثم ترى أن كل شيء قد انتهى و ...

ـ ولكن ؟!

وضغطت كارلا يديها بعضهما ببعض ، ثم قالت بصوت متهدج ، ولكنه مفعم بالعزم :

ـ أرجو أن تدرك تماما موقفي من هذا الامر كله ، كنت عند وقوع الحادث ، في الخامسة من عمري ، أى كنت أصغر من أن أدرك تماما ما يجرى حولي ، انني أتذكر أبي وأمي ، طبعا ، وأتذكر أني غادرت البيت فجأة الى الريف ، وأتذكر خراف المزرعة السمان ، وزوجة المزارع ، وأن الجميع كانوا جد شفيقين بي ، وأتذكر بوضوح الطريقة العجيبة التي كانوا ينظرون بها الي . وكنت أعرف ، كطفلة ، أن شيئا ما قد حدث ، ولكني لم أكن أعرف طبيعة هذا الشيء

ثم أردفت قائلة بعد برهة صمت وجيزة :

ـ ثم أتذكر أني ركبت باخرة في البحر ، وكانت الرحلة مثيرة ، استغرقت بضعة أيام ، وعندما وصلت الى كندا ، استقبلني العم سيمون ، وعشت معه ، ومع زوجته العمة لويز ، وكنت كلما سألتهما عن أبي وأمي ، قالا أنهما سيلحقان بي سريعا . وعلى مر الايام نسيت أمرهما ، بعد أن عرفت ، دون أن يخبرني أحد ، أنهما ماتا . وعشت سعيدة في كندا ، فقد كان العم سيمون والعمة لويز

انموذج الطيبة والشفقة والحب • وذهبت الى المدرســـة ، وتعرفت بصديقات كثيرات ، ونسيت ، تقريبا،كل شيء عن حياتى السابقة، وانا دون الخامسة ، وحتى اسمى ، أصبح كارلا لامرشانت بدلا من كارولين كريل

ثم نظرت كارلا في وجه بوارو بامعان برهة ، واســــتطردت تقول :

ــ إنظــر الى وجهى • انك ، حين ترانى في الطريق ، أو وأنا أستقل سيارتى الخاصة الفاخرة ، ستشير الى وتقول : « هذه فتاة جمعت بين الجمال والمال والشباب ، وليس لها فى هـذه الدنيا ما يثقل عليهـا أو يحز فى نفسها ، وهــذا هو الواقع الى حـد ما ، فانا شابة ، وجميلة ، وثرية ، وليس فى الدنيا فتاة أتمنى ان اكون مثلها ، ولكننى ، مع هذا كله ، بدأت اسأل عن أبى وأمى : من هما ؟ وماذا فعـلا ؟ وكيف ماتا ؟• ولم يكن ثمة مفر من أن أعـرف فى النهاية كل شيء

ومرة أخرى صمتت كارلا برهة ، قبل أن تستأنف حديثها قائلة:

ــ ولم يسع العم سيمون والعمة لويز الا آن يخبرانى بالحقيقة ، كل الحقيقة ، لانى حين بلغت الحادية والعشرين من عمرى ، أصبحت حرة التصرف فى الثروة الطائلة التى تركها أبواى لى ، ولانه أصبح من حقى ، وأنا فى هذه السن ، أن أقرأ الخطاب الذى تركته لى أمى وهى على فراش الموت • ومن هذا الخطاب ، علمت الحقيقة الرهيبة : علمت أنها اتهمت بقتل أبى ، وقدمت للمحاكمة ، وصدر عليها الحكم بالسجن المؤبد ، ويا لها من مفاجأة قاسية

وتوقفت برهة أخرى ، ثم عادت تقول :

ــ وهناك شيء آخر ينبغى أن أصارحك به ، فأنا أتبادل الحب مع شاب أعتبره مثلى الأعلى فى الحياة ، ورغم أن الجميع لا يعترضون على زواجنا ، فقد طلبوا منى ارجاء الزواج حتى أبلغ الحادية والعشرين من عمرى ، وقد عرفت الآن لماذا !

فقال بوارو وقد أدرك حقيقة الموقف :

ــ وهل عرف خطيبك الحقيقة ؟

ــ نعم ، طبعا ، أخبرته بها كلها

ـ وما رأيه ؟ ماذا كان رد الفعل في نفسه ؟

ـ قال : « ان الحب الحقيقي الذي يجمع بيننا لا يحفل بأحداث الماضي ، وانما المهم هو المستقبل »

ثم مالت الى الامام وأردفت تقول :

ـ اننا لازلنا مخطوبين ، ولكنني أفكر ، بل أنوى ، أن افسخ الخطبة ، اذا لم اتأكد من براءة أمي نعم ، لا تعجب يا مسيو بوارو ، لسوف أخبرك لماذا أوقن ببراءة أمي ، والمهم الآن أن أؤكد لك انى لا أستطيع أن أتزوج ، وأنجب أطفالا ، وأعيش طول عمرى في فزع ، حتى لا يعرف أطفالي حقيقة مأساة جديهما لأمهما ، انني لا استطيع أن أحتمل أن يشار اليهم على أنهم أحفاد السيدة التي قتلت زوجها

فقال بوارو :

ـ ألا تعرفين أنه لا يوجد الانسان الذي يستطيع أن يزعم أنه ينحدر من أصلاب أجداد لم يرتكبوا في حياتهم ما هو أسوأ من جرائم القتل ؟

ـ انك لا تدرك ما يدور بنفسي ، حقا انه لا يوجد مثل هذا الانسان ، ولكن معظم الناس لا يعرفون هذه الحقائق عن يقين واثبات كما اعرفها انا عن أبوى ، وكما سيعرفها أولادى عن جديهما . وليس أدل على خطورة السيف المعلق على رأسي ، من أنني رأيت جون ، خطيبي ، يختلس النظر الى ، بعد أن عرف هذه الحقيقة ، في شيء من الحيرة والتوجس ، فكيف اذا تزوجنا ، ثم حدث بيننا هذا الخصام الذي يحدث عادة بين الازواج ، ثم أرسل الى هذه النظرة الزاخرة بالحيرة والتوجس . أقول كيف يكون موقفي اذا رأيته ينظر الى ، وكأنما يخشى أن أقتله كما قتلت أمي أبي ؟

ـ كيف قتل أبوك ؟

ـ بالسم

ـ آه ، انك على حق

ـ شكرا لله انك أدركت حقيقة مشاعري . لقد أدركت أن هذا الأمر يهمني ، ويؤثر في مستقبلي ، ومن ثم لا تحاول أن تواسيني بعبارات جوفاء ، أو أن تقنعني بأن هذه مسألة عفى عليها الزمن

ـ انني في الواقع مدرك تماما حرج مركزك يا مس لامرشانت ولكنني لا أعرف على وجه التحديد ماذا تريدين مني

ـ اريد أن اتزوج جون ، وأنوي أن أتزوجه ، وأن أنجب منه على الاقل ولدين وبنتين،والمطلوب منك أن تجعل هذا كله ممكنا٠٠٠

فابتسم بوارو وقال :

ـ انني تحت أمرك ، ولكن كيف السبيل ؟

ـ اسمع يا مسيو بوارو ، انني أريد أن أكلفك باعادة البحث والتحرى لكشف الحقيقة عن سر مقتل أبي ، ولسوف أدفع لك كل ما تريد من مال

ـ ولكن ٠٠٠

ـ انني أعرف أن جريمة القتل ، هي جريمة القتل ، سواء وقعت اليوم ، أو منذ عشرين عاما

ـ ولكن يا آنستي العزيزة ، أريد أن ٠٠٠

ـ أوه ، انتظـــر برهة يا مسيو بوارو ، فان في المسألة نقطة هامة ، ينبغي أن تعرفها

ـ وما هي ؟

ـ هي أن أمي بريئة

ـ لا عجب أن تؤمن الابنة ببراءة أمها ، برغم كل ٠٠٠

ـ لا لا ، ليس للعاطفة دخل في هذا الشعور ببراءة أمي يا مسيو بوارو ، وانما هو خطابها هذا ، لقد تركته لي قبل وفاتها ، واستلمته حين بلغت الحادية والعشرين من عمري ، وهي لم تكتبه الا لغرض واحد وهو اقناعي تماما ببراءتها ٠ ولقد أقسمت لي فيــه ، وهي على فراش الموت ، أنها بريئة ، وانني يجب أن أومن ببراءتها

فقرأ بوارو الخطاب ثم نظر في شيء من التفكير ، ثم قال :

ـ هكذا كلهم يقولون ذلك

ـ لا ، لا ٠ ليست أمي من النـوع الذى يكذب ليريح ضـــمير الغير ٠ ان الاطفال عادة يتذكرون أشياء لا تكاد تخطر ببال أحد أنهم يتذكرونها ، ومن بين ذكرياتي القليلة عن أمي ، أنها من النوع الذى لا يكذب أبدا ، كان الصـــدق طبيعة فيها ، ومن ثم فاني أتذكـــر اني كنت شديدة الثقة بها وأنا طفلة ، ولا زلت حتى الآن أشـــعر



« لا لا ، ليس للعاطفة دخل في هذا الشعور ببراءة أمي يامسيو بوارو، وإنما هو خطابها هذا ، لقد تركته لي قبل وفاتها . . . »

بهذه الثقة التي لا حد لها ، ومن ثم اذا قالت انها لم تقتل أبي ، فهي لم تقتله مطلقا ، انها ليست من النوع الذى يقسم كذبا وهو على فراش الموت ، مهما يكن السبب

وأومأ بوارو برأسه في بطء ، بينما استطردت كلارا تقول :

ـ انني أستطيع أن أتزوج بجون وأنا مطمئنة الى براءة أمي ، ولكن هو ، ما شعوره ؟ كيف أقنعه ببراءتها ، كيف أجعله لا ينظر الى في خوف ، اذا اختلفت معه لأي سبب بعدالزواج ؟انني أريد أن أثبت له بالدليل الحاسم أنها بريئة ، وأنه ليس هناك ما يدعوه الى أن ينظر الى هذه النظرة الخائفة في مستقبل الايام

ـ لنفرض أن أمك بريئة حقا ، كيف يمكن اثبات براءتها ، بعد أن مضى على الحادث ستة عشر عاما ؟

ـ أنا أعرف أن الأمر من هذه الناحية جد عسير ، وأعرف أيضا انه لن يكون في وسع أحد غيرك أن يقوم بهذه المهمة

فابتسم بوارو وقال :

ـ انك تنفخين في بقوة !

ـ لقد سمعت عنك ، وسمعت عن الاعمال الباهرةالتي قمت بها، وكيف قمت بها ، سمعت انك تستطيع أن تكشف غوامض الجريمة وأنت جالس في مكتبك بعد أن نوضع أمامك كل الملابسات المحيطة بها ، أى دون أن تحتاج الى فحص أعقاب السجائر ، أو قياس آثار الاقدام ، أو شم تراب الارض . ومن حسن الحظ أن جميع الذين كانوا في بيت أبي أثناء موته لا يزالون على قيد الحياة

ـ حسنا يا آنسة ، لسوف أجمع الحقائق من هؤلاء الاحياء،وأعيد البحث والتحرى ، وأرجو أن أصل الى الحقيقة

فلما نهضت وهي تشكره ، قاطعها قائلا :

ـ انني سأبحث عن الحقيقة أيا كانت يا مس لامرشانت هل تفهمين ؟

ـ نعم ، انني أريد الحقيقة الخالصة ، فاذا ثبت لى ، يقينا ، ان أمي هي القاتلة ...

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :

ـ يجب أن أدفع ثمن الجريمة ، وأعتزل الحياة في دير لأدعو لها بالرحمة والغفران

الفصل الثانى

مفتش البوليس

قال مفتش البوليس ، هيل ، وهو ينفث دخان بيبته :

ـ هذا عجيب يا مسيو بوارو ، كيف يمكنك أن تعاود البحث والتحري لكشف غموض جريمة وقعت منذ ستة عشر عاماً ؟

ـ انني أعرف انه أمر غير مألوف ، ولكن ...

ـ ولكن ، لماذا كل هذا العناء ؟

ـ من أجل البحث عن الحقيقة ، ومن أجل كلارا ومستقبلها . ان حياتها الآن بين يدى ، فاما ان أتيح لها الفرصة لان تتزوج وتنعم بالحياة كما ينبغي ، واما أن تعتزل هذه الحياة فى دير

فهز مفتش البوليس كتفيه وقال :

ـ انك رجل نابغ يا مسيو بوارو ، فما ضرك لو انك اخترعت لها قصة قائمة على سلسلة من التحريات الوهمية لاقناعها ، أعنى ، لاثبات براءة أمها

ـ انك لا تعرف كلارا

ـ لا لا ، مهما تكن قوة شخصيتها ، وحدة ذكائها ، فانها لن تستطيع ان تقف أمام رجل موفور التجارب مثلك

فرفع بوارو رأسه في تحد وقال :

ـ أيا كان الأمر يا مستر هيل ، فانى لم اتعود أن أبالغ فى الكذب الى هذا الحد ، لاسيما اذا كان فى الأمر مكافأة ضخمه تبلغ خمسة آلاف جنيه لاثبات الحقيقة ، الحقيقة الخالصة

ـ انني آسف يا مسيو بوارو ، لم أكن اقصد جرح مشاعرك ، انني فقط مشفق على هذه الفتاة الحسناء البريئة التى وهبتها

الطبيعة كل شيء ، وتوشك هي أن تحرم نفسها من كل شيء · انها مأساة

ـ الآباء يأكلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

ـ هذا صحيح · ولكن ، اية حقيقة تريد اثباتها ، بعد أن ثبتت فعلا منذ ستة عشر عاما ، وصدر الحكم ، ولولا الظروف المخففة ، لماتت كارولين كريل على حبل المشنقة.

فقال بوارو بهدوء .

ـ ان حديثك هذا يا مستر هيل له أكبر الأثر في نفسي · فأنا أعرف أنك ، طول حياتك ، رجل مستقيم شريف جاد ، وأرجو أن تخبرني بصراحة : ألم يخامرك الشك ، أدنى الشك في ادانة مسز كريل ؟

فأسرع المفتش يقول :

ـ مطلقا يا مسيو بوارو ، ان جميع الأدلة . والقرائن،والاثباتات، وشهادات الشهود . كانت تشير اليها

ـ هل يمكن أن تخبرني بالأدلة التي توافرت على ادانتها ؟

ـ مؤكد · فمنذ أن بلغت رسالتك بخصوص هذا الأمر ، وأنا اراجع سجل الجريمة ، واضع العلامات والاشارات تحت الحقائق الواضحة

ـ شكرا جزيلا يا صديقي ، انى أشد ما أكون شوقا الى سماع هذه الحقائق

فتنحنح المفتش هيل ، ثم قال فى لهجة جادة :

ـ فى تمام الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر ، اتصل الدكتور فوسيت تليفونيا بالمفتش كونوى ، واخبره أن المدعو اميساس كريل مات فى قصره بآلدربرى ، وان الظروف المحيطة بالوفاة ، كما ذكرها المستر فيليب بليك صديق المتوفى ، واحد ضيوفه ، تحتم وضع الامر بين أيدى رجال البوليس ؛ ومن ثم صحب المفتش كونوى السرجنت رودى وطبيب الصحة ، وأسرعوا الى آلدربرى ، وهناك مضى بهم الدكتور فوسيت فورا الى جثة المتوفى التى لم يحركها أحد من موضعها ، وكان المستر كريل ، قبيل وفاته ، يرسم فى حديقة

صغيرة مقفلة تابعة لقصره ، تسمى حديقة البحر ، لانهـا تطـل من مرتفع ، على البحر ، وتقع على مسيرة اربع دقائق من القصر ، ولم يكن المستر كريل قد ذهب الى القصر ليشترك في تناول طعام الغداء مع زوجته وضيوفه ، لانه اراد أن يرسم بعض الظلال والاضواء على لوحته في تلك الساعة من النهار قبل ان تميل الشمس نحـو المغيب . ومن ثم بقي بمفرده ، في حديقة البحر ، يرسم . ولم يكن في هذا ما يدعو الى العجب ، لان المستر كريل لم يكن يهتم بمواعيد طعامه اذا تعارضت مع انهماكه في الرسم . وكان يكتفي في مثل هذه الحالات ببعض الشطائر ، ترسل اليه . ولكنه ، كان يفضل ، عادة ، أن يبقى وحيدا لا يزعجه أحد . وكان آخر من رآه حيا همـا مس الزا جرير « ضيفة بالمنزل » والمستر ميرديث بليك « جار وصديق » وقد غادر الاثنان معا حديقة البحر وذهب الى القصر ، حيث اشتركا مع بقية الضيوف في تناول طعام الغداء . وبعد الطعام ، قدمت للجميع القهوة في الشرفة الكبيرة ، وفرغت مسز كريل من شرب قهوتها ، وقالت انها ستذهب الى حديقة البحر لترى ماذا يفعل كريل ، زوجها ، ونهضت المس سيسيليا ويليامز ــ المربية ــ معها وصحبتها في الطريق الى حديقة البحر قائلة انهـا ستبحث عن الصديرية الصوف الخاصة بتلميذتها انجيلا وارين ، الاخت غـير الشقيقة لمسز كريل ، وكانت المربية تعتقد ان انجيـلا تركت صديريتها على شاطىء البحر

وسـارت الاثنتان معا في الطريق الضيق المتعرج الذى تحف به الاشجار ، حتى وصلتا الى الباب المفضى الى حديقة البحر . ويمكنك عندئذ أن تدخل الى الحديقة ، او أن تستمر في الطريق الضيق حتى تصل الى الشاطىء . ودخلت مسز كريل الحديقة ، واستمرت مس ويليامز في سيرها ، ولكنها لم تلبث أن عادت مسرعة حين سمعت صراخ مسز كريل ، ولما دخلت الحديقة بدورها رأت المستر كريل متهالكا على المقعد الخشبي الطويل ميتا !

والحت عليها مسز كريل أن تسرع بالعودة الى القصر والاتصال تليفونيا بطبيب ، وفيما كانت مس ويليامز في طريقها الى القصر ، التقت بالمستر ميرديث ، فعهدت اليه بالقيام بمهمة استدعاء الطبيب ثم اسرعت عائدة الى المسز كريل ، وهي تشعر انها احوج ما تكون

الى وجود احد بجانبها فى هذا الظرف ، وحضر الدكتور فوسيت بعد ربع ساعة ، وادرك ، من اول نظرة ، ان كريل مات منذ فترة غير وجيزة . وقد حدد موعد الوفاة فيما بين الساعة الواحـــدة والساعة الثانية بعد الظهر . ولم يكن هناكماينم عن سبب الوفاة . لا اصابة ، ولا جراح ، ولا آثار اختناق ، ورغم هــذا ، فقـــد اشتبه الدكتور فوسيته فى سبب الوفاة لانه يعـرف ان كريل كان يتمتع بصحة جيدة ، ولم يكن يشكو من اى مرض او ضعف . ولهذا قرر ان يعرف كل الظروف المحيطة بالوفاة ، وعندئذ ادلى المستر فيليب بليك الى الدكتور ببعض البيانات التى جعلته يضع الامر بين ايدى رجال البوليس

وتوقف المفتش هيل برهة ، وتنفس بعمق ، ثم عاد يقرأ ، وكانه يبدأ الفصل الثانى ، فقال :

ــ وبطبيعة الحال اعاد المستر فيليب بليك أقواله على مســامع المفتش كونوى ، فقال ، اى فيليب بليك ، انه تلقى فى الصباح مكالمة تليفونية من اخيه ميرديث بليك ، صاحب ضيعةهاندكروس ، الواقعة على مسافة ميل ونصف ميل من قصر كريل ، وكان المستر ميرديث كيماليا هاويا ، او على الاصح ، احد هواة استخراج العقاقير من النباتات الطبية « هيربالست » . وعندما دخل المستر ميرديث بليك فى هذا الصباح الى معمله الخاص ، لاحظ ، لدهشته ، ان الزجاجة المحتوية على مادة الكونين « المخدر السام » ، ناقصة جدا ، بينما كانت ممتلئة تماما فى اليوم السابق . ولما ازعجته هذه الحقيقة ، اتصل تليفونيا بأخيه فيليب بليك ، الذى كان ضيفا على كريل فى قصره واخبره بهذا الامر ، والتمس منه النصيحة فيما ينبغى ان يفعل . وطلب فيليب من اخيه أن يحضر فورا الى قصر آلدربرى ليتباحث معه فى هذا الامر . وقد سار هو ــ فيليب ــ ليلتقى بأخيه فى الممر المؤدى الى القصر ، ثم عاد معه الى القصر وهما يتحــدثان فى هذا الامر دون ان ينتهيا الى نتيجة ، فتركاه ليستأنفا الحديث فيه بعد طعام الغداء

« اما الحقائق التى وصل اليها المفتش كونوى ، بعــد التحريات والابحاث اللازمة فهى : بعد ظهر اليوم السابق على الوفاة ، سار خمســة أشخاص من قصر آلدربرى لزيارة المستر ميرديث فى منزله

بضيعة ماندكروس ، وهؤلاء الخمسة هم : مستر ومسز كريل،انجيلا وارين ، مس الزا جرير ، مستر فيليب بليك . وفى خلال الفترةالتى قضوها هناك ، القى عليهم المستر ميرديث بليك ما يشبه المحاضرة عن طريقة استخراج مخدر الكونين من أعشاب طبية خاصة ، وعن قوة مفعوله ، وعن أسفه لاختفاء هذا المخدر من الصيدليات الحديثة برغم انه ثبت طبيا ان الجرعات القليلة جدا منه ، تشفى من السعال الديكى والربو . واخيرا قرأ لهم فصلا مؤثرا عن موت سقراط بعد أن وضع فى كأسه قطرات من هذا المخدر السام بالذات »

ومرة اخرى توقف المفتش هيل عن القراءة ، ثم راح يحشو غليونه قبل أن يبدأ فى قراءة الفصل الثالث من المأساة :

ــ ووضع الكولونيل فرير ، مدير البوليس ، هذه القضية بين يدى وقد ثبت بعد تشريح الجثة أن الوفاة نتجت عن التسمم بعقار الكونين . وذلك رغم ان هذا العقار لا يكاد يترك اثرا يدل عليه فى جسم الضحية ، ولكن الاطباء عرفوا كيف يظفرون بهذا الاثر فى جسم القتيل . وقد قرر هؤلاء الاطباء ان المخدر السام دس للمجنى عليه قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث ، وكان أمام المستر كريل ، على منضدة صغيرة ، كأس وزجاجة بيرة فارغتين . وثبت من تحليل البقايا الموجودة بهما أنه لا يوجد اثر للكونين فى زجاجة البيرة ، ولكن الاثر موجود فى الكأس الفارغة . وقد علمت من تحرياتى أنه برغم وجود زجاجات بيرة وكؤوس فى خزانة خاصة بحديقة البحر لتكون تحت طلب المستر كريل اذا احس بالظمأ ، برغم هذا ، فقد ثبت أن المسز كريل فى ضحى هذا اليوم بالذات حملت زجاجة بيرة من ثلاجة القصر وذهبت بها الى زوجها ، حيث كان منهمكا فى رسم لوحة لمس الزا جرير ، التى كانت جالسة على سور الحديقة ، فى وضع خاص للرسم

وفتحت مسز كريل الزجاجة ، وملأت منها الكأس ، ووضعت الكأس فى يد زوجها وهو واقف أمام لوحة الرسم . وقد شرب هو ــ كعادته ــ الكأس فى جرعة واحدة ، ثم بدأ الامتعاض على وجهه وهو يعيد الكأس الى المنضدة ، ويقول : « كل شىء فى فمى اليوم مر » . وعندئذ ضحكت المس الزا جرير ، وقالت له : « لابد أن الكبد عندك متعب » واجاب هو عليها بقوله : « على كل حال هذه البيرة مثلجة »

وتوقف هيل عن الحديث ، فقال له بوارو :

ـ كم كانت الساعة عندما حدث هذا ؟

ـ في نحو الحادية عشرة والربع

واستطرد المفتش هيل في حديثه عن الجريمة قائلا :

ـ وظل المستر كريل منهمكا في عمله ، وقد ذكرت المس الزا جرير انه بعد فترة وجيزة من شرب البيرة ، بدأ يشكو من مصلب لطرافه ويقول انه لابد موشك على المرض بالروماتزم ، ولكنه كان من نوع الرجال الذين يكرهون الاعتراف بأية حالة مرضية طارئة تعتريهم ، ولهذا السبب ، ظل متحاملا على نفسه ، ثم طلب من الزا وميرديث في ضيق أن يدعاه بمفرده ويذهبا لتناول طعام الغداء . وهكذا ترك بمفرده . وليس من شك في انه ، بعد ذهابهما ، تهالك ليستريح ، ولا شك ايضا أن الشلل العضلي قد سرى في جسده عندئذ كما قرر الاطباء . وهكذا لم يستطع أن يستنجد بأحد ، وكانت النتيجة انه مات أثناء انشغال الجميع بطعام الغداء

وصمت المفتش هيل كانما يستعد لبدء الفصل الرابع من المأساة ، ثم عاد يقول :

ـ والآن لنستعرض الحقائق التالية ، التي اثبتتها التحريات الدقيقة : في اليوم السابق حدثت مشادة عنيفة بين مس الزا جرير ومسز كريل ، وذلك عندما أعلنت مس الزا ، بجراة ، انهـا قررت الزواج من المستر كريل ، وانه اتفق معها على هذا ، وردت عليها مسز كريل قائلة أن هذا لن يحدث ، وأن مس الزا واهمة فيما تزعم ، وعندئذ اقبل مستر كريل الى الغرفة ، فالتفتت اليه زوجته وقالت له :

ـ هل قررت ، حقا ، يا امياس ان تتزوج بالزا ؟

وعندئذ بدا الاهتمام بوضوح على وجه بوارو ، مما جعله يقول للمفتش هيل :

ـ هه . وبماذا أجاب كريل على هذا السؤال ؟

ـ يبدو انه استدار الى مس الزا وهتف بهـا غاضبا : « ماذا تقصدين بحق الشيطان من الافضاء بهذا السر ؟ الا تعرفين كيف تمسكين لسانك بضعة أيام » . وعندئذ قالت مسز كريل لزوجها :

« اذن فقد اتفقتما على الزواج فعلا ؟ » فاشاح زوجها بوجهه وغمغم بكلمات غامضة ، فعادت زوجته تقول له : « لماذا لاتجيب اليس من حقي ان اعرف ؟ » فهز كتفيه وقال لها : « نعم هـــذه هي الحقيقة ، ولكني غير مستعد للمناقشة الآن » ثم غادر الغرفة مسرعا ، بينما قالت مس ألزا جرير لمسز كريل انها تريد منها مواجهـــة الحقيقة بشجاعة ، وانها شخصيا ، ترجو أن تظل ، اي مسز كريل ، صديقة لزوجها بعد طلاقها منه

وقال بوارو :

ـ وماذا قالت مسز كريل عندئذ ؟

ـ قال الشهود انها ضحكت وقالت : « انك لن تتزوجي بأمياس الا بعد وفاتي » ثم توجهت الى باب الغـــرفة ، ولكن مس ألزا هتفت بها : « ماذا تعنين يا مسز كريل » فنظرت اليها مسز كريل قائلة : « اعنى انى ساقتل امياس قبل أن اتركه لك »

وتوقف المفتش هيل عن الحديث ، وقال بوارو :

ـ اعتراف خطر ، من سمع هذه العبارات ؟

ـ كان بالغرفة مع مس ألزا ومسز كريل ، المستر فيليب بليك ، ومس ويليامز المربية ، ولا شك أن الموقف بالنسبة لهما كان بالغ الحرج

ـ وهل اتفقت شهادة كل منهما مع شهادة الاخر في هـــذا الموضوع ؟

ـ نعم .. بقدر ما يمكن ان يتفق شاهدان رأيا أو سمعا شيئا واحدا في وقت واحد ، فان كلا منهما يصف ما رأى أو ســمع بطريقته الخاصة

واستطرد المفتش هيل في حديثه عن المأساة فقال :

ـ وامرت باجراء تفتيش دقيق في انحاء القصر . وقد عثرنا في غرفة نوم مسز كريل على زجاجة موضوعة تحت كومة من الجوارب القديمة في أسفل درج خزانة الملابس ، وكانت زجاجة فارغـــة من زجاجات عطر الياسمين ، ولما فحصنا آثار البصمات عليها لم نجد غير بصمات مســز كريل ، اما تحليل البقايا الموجودة بهـــا فقـــد اثبت ان بها آثارا بسيطة لعطر الياسمين ، وآثارا واضحة لســـوير

لمحلول هيدروبروميد الكونين .. وحذرت مسز كريل واطلعتها على الزجاجة ، فاجابت فورا انها كانت في حالة معنوية سيئة ، وانهـا قررت ، بعد سماعها محاضرة المستر ميرديث عن مفعول الكونين السام ان تاخذ كمية منه ، فغافلت الموجودين وتسللت الى معمله ، وافرغت عطر الياسمين من زجاجة حقيبة يدها ، وملأتها من عقار الكونين ، ولما سالتها لماذا فعلت هذا قالت : « انني لا اريد أن اطيل الحديث في موضوع شخصي ،ولكن يكفي القول انى تلقيت صـدمة قاسية ، وذلك عندما صارحني زوجي بانه سيهجرني ليتزوج من فتاة اخرى ، فاذا صح هذا ، فلن استطيع الحياة بدونه ، ولهذا اخذت الكونين »

وقال بوارو عندئذ :

ــ هذه اجابة مقنعة الى حد ما

ــ نعم .. ولكن هذا لا يتفق مع قولها لالزا جرير انها تفضل أن تقتل كريل على أن تعطيه لها ، ثم هناك المشـادة الاخرى التي حدثت في صباح يوم الوفاة وسمع فيليب بليك طرفا منها .. وكذلك مس الزا جرير سمعت طرفا آخر من نفس هذه المشادة التي حدثت في غرفة المكتبة بالقصر بين مستر ومسز كريل . وكانت الزا جالسة تحت نافذة المكتبة المفتوحة ، وسمعت الشيء الكثير من هـذه المشادة

ــ وماذا سمعت هي وفيليب بليك !!

ــ سمع المستر فيليب مسز كريل تقول لزوجها في غضب : «هكذا انت دائما مع نسائك . لشـد ما اتمنى أن اقتلك ، حتما سياتي اليوم الذى اقتلك فيه »

ــ الم يسمع شيئا عن عزمها على الانتحار ؟

ــ لا . مطلقا . لم يسمع مثلا اية عبارة كهذه « اذا فعلت هـذا فسوف اقتل نفسي » ، اما الزا جرير فقد سمعت هذا الحوار بين الزوجين :

قال كريل : « كوني عاقلة رزينة ياكارولين . انني اميل اليـك واحب لك الخير دائما ، انت والطفلة طبعـا ولـكنني سـاتزوج الزا .. وقد اتفقنا على أن يكون كل منا حرا في تصرفاته » فقالت

كارولين : « حسنا . لا رغم أنني لم احذرك » ، فقال كريل : « ماذا تعنين ؟ » . . فقالت كارولين : « أعني انني احبك ، ولن اسمح لاحد أن ينتزعك مني . انني أفضل أن اقتلك على ان ادع هذه الفتاة تظفر بك »

وصمت المفتش هيل بعد ان فرغ من ترديد هذا الحوار على مسامع بوارو الذي قال :

ــ يبدو لي أن الزا جرير كانت حمقاء في تحديها لمسز كريل ، فقد كان في وسع هذه الاخيرة أن ترفض الطلاق من زوجها كريل نهائيا

فقال المفتش هيل :

ــ لدينا بعض الادلة الخاصة عن هذا الموضوع . فان مسز كريل افضت بآلامها ، كما يبدو ، للمستر ميرديث بليك ، وهو صديق قديم للاسرة . ويبدو أيضا أنه شعر من اجلها باشد الحزن ، واستطاع ان يتحدث مع كريل في الموضوع على انفراد ، واعتقد ان هذه المحادثة دارت في اليوم السابق على المأساة ، وقد ذكر ميرديث لصديقه انه سيكون حزينا أبلغ الحزن لو حدث الطلاق بين مستر ومسز كريل ، وكذلك اشار الى فارق السن بين الزا التي لم تكن تجاوزت العشرين ، وبين كريل الذي بلغ الاربعين ، وانه لا يليق جرجرة فتاة صغيرة كهذه في قضية طلاق ، وقد رد كريل على هذا بضحكة خفيفة ، تنم عن استهتاره التام بالعلاقات الزوجية ، ثم قال : « ان الزا لن تظهر في المحكمة عند نظر قضية الطلاق ، واننا قد اتفقنا على طريقة ننهي بها الموضوع بغير ضجة »

وعندئذ قال بوارو :

ــ مادام الامر كذلك ، فلماذا افشت الزا السر وتحدت مسز كريل في بيتها ؟ لاشك انها حماقة بالغة الشأن

فقال المفتش هيل :

ــ ان الرجل لا يعرف حقيقة ما يدور بذهن المرأة والمهم أن الموقف كان شديد الحرج للجميع في القصر ، ولست ادري كيف سمح كريل بنشوء مثل هذا الموقف بين المرأتين ؟ ان المستر ميرديث

بليك يفسر هذا بقوله ان كريل كان شديد الاهتمام بالصورة التي يرسمها لمس الزا جرير فهل هذا معقول ؟

ــ نعم يا صديقي ، ان هذا معقول جدا

ــ ولكنه ، في رايي ، غير معقــول ، لقــد كان يسعى بنفسه الى خلق المشكلات

ــ من المحتمل جدا انه كان يشعر بالاستياء الشديد من الزا جرير لانها افشت السر قبل الوقت المتفق عليه

ــ نعم . . كان مستاء منها . هكذا شـهد ميرديث بليــك . ولكن اذا كان مهتما بالفراغ من الصورة فلماذا لم يستعن ببعض صورها الشمسية في اتمام الصورة فلا يضطر الى ابقائها مع زوجته في القصر . انني أعرف رساما شابا ينقل صورا بالالوان المائية ، من صور مناظر طبيعية شمسية

فقال بوارو باسما :

ــ ان كريل لم يكن ليلجأ الى مثل هذه الطريقة البدائية في الرسم لقد كان ، كما فهمت ، رساما كبيرا ، فنــانا نابغــة ، وليس من المستبعد ان يكون فنــه أهم لديه من كل شيء . ولاشك ان الفراغ من رسم الفتاة كان اهم لديه من التعجيل بزواجها ولعــل هــذا هو السبب الذى من أجله كان يريد ان يفرغ من رسم اللوحة قبــل ان تضطرب الاحوال بين الفتاة وزوجته . أما الفتاة ، فانهــــا لم تدرك هذه الحقيقة . فالحب ، عند المرأة ، ياتى دائمـــا فى المقـــام الاول

فقال المفتش هيل :

ــ كلنا يعرف هذه الحقيقة

ــ ولكن الرجال يختلفون ، لاسيما الفنانون منهم ، فان للفــــن اعباءه

فقال المفتش فى احتقار :

ــ الفن ؟ ماهذا الحديث عن الفن ؟ انني لا أفهمه ، وما اظن انى سافهمه يوما ، ولناخذ مثلا هذه الصورة التى رسمها كريل للفتاة . انها صورة غريبة عجيبة كانما الفتاة كانت تشكو من وجع اسنانها وهى جالسة امامه . أما السياج الحجرى الذى كانت جالسة

عليه ، فقد بدا غريبا ايضا . انني حتى الآن ، وبعد ستة عشر عاما لازلت اذكر نفوري من هذه الصورة

فابتسم بوارو وقال :

ـ انك تقرظ هذه الصورة أعظم تقريظ دون ان تدري

ـ لا لا ، انا لا اقصد هذا . لماذا لا يحاول الرسام أن يرسم كل شيء طبق الاصل كما هو ؟ لماذا يتعب نفسه لكي يجعل الصورة تبدو غريبة عجيبة ؟

ـ ان بعضنا ياصديقي يرى الجمال في كل عجيب غريب

ـ ايا كان الامر ، فان مس الزا جرير هذه كانت في تلك الايام جميلة فاتنة ، ولعلها لا تزال محتفظة حتى الآن بجمالها . وبهـذه المناسبة اذكر انها تزوجت مرتين : الاولى من رحالة مغامر لا اذكر اسمه ، والثانية من زوجها الحالي اللورد ديتشام . وهي معروفة في الاوساط الراقية الآن باسم الليدى ديتشام

ـ حسنا جدا . هل افهم من هذا أن الشاهدين الاساسيين اللذين كانا ضد مسز كريل هما فيليب بليك ومس الزا جرير ، اليس كذلك ؟

ـ نعم كانا ضد مسز كريل على طول الخط . وقد شهدت ايضا المربية مس ويليامز ، ورغم أنها كانت شديدة العطف على مسز كريل ، فان شهادتها اساءت الى موقف المتهمة الى حد كبير . ذلك لانها سيدة صادقة لا تقول غير الحق ، ولا تحاول المراوغة من الاجابة ولو كانت هذه الاجابة ضد أقرب الناس اليها

ـ وميرديث بليك ؟

ـ كان يعرب في شهادته عن حزنه وألمه ، ويلوم نفسه على استخراج هذا المخدر السام في معمله ، وقد لامه المحقق . وكان على الجملة انموذجا للرجل المحافظ ، الذى يكره هذا اللون من المحاكمات المثيرة

ـ وهل شهدت الاخت الصغرى لمسز كريل ، أعني انجيلا وارين ؟

ـ لا ، لم يكن هناك مايدعو الى سماع اقوالها ، فانها لم تسمع اختها وهي تهدد زوجها بالموت ، ولم يكن لديها من الاقوال اكثر مما سمعناه من شهود الحادث ، فقد رأت مسز كريل وهي تاخذ الزجاجة ، زجاجة البيرة ، من الثلاجة ، وكان في مقدور الدفاع أن

يركز جهده فى هذه الناحية ويثبت أن مسز كريل لم تعبث بمحتويات الزجاجة . ولكن هذا الدفاع لم يكن ضروريا ، لان ممثل الاتهام لم يدع أن السم كان فى الزجاجة

ـ اذن كيف استطاعت مسز كريل أن تضع السم فى كأس زوجها أمامه ، وأمام مس الزا ومستر ميرديث ؟

ـ اولا كان كريل منهمكا فى الرسم ، وكانت الزا جرير جالسة بعيدا فى وضع خاص بحيث كان ظهرها تقريبا الى مسز كريل . أما مستر ميرديث فكان فى مكان بعيد عن الجميع

فغمغم بوارو قائلا :

ـ يبدو أن لديك الاجابة المقنعة عن كل سؤال

ـ ان الامر جد واضح يامسيو بوارو ، فقد ثبت باعترافها وشهادة الشهود أولا : انها هددت زوجها بالموت ، ثانيا : انها سرقت المادة السامة من معمل مستر ميرديث ، ثالثا : وجدت الزجاجة الفارغة التى كانت تحتوى على المادة السامة فى غرفة نومها ، وليس عليها غير بصمات أصابعها . رابعا : انها هى التى حملت زجاجة البيرة الى زوجها ، وقدمت اليه الكأس ، آخر كأس شربها زوجها قبل وفاته ، وقد قال فى امتعاض ان كل شيء يبدو فى فمه مرا هذا اليوم ، والعجيب فى هذا الامر انها تهتم بحمل الشراب المثلج اليه رغم الخصومة التى كانت بينهما

ـ ان هذا فى الواقع شيء يثير التساؤل والدهشة !

ـ نعم ؟ لماذا اصبحت فجاة لطيفة معه ، مهتمة بأمره ؟ لكى تحقق غرضها طبعا . وقدرتبت الامر لكى تكتشف الجثة بنفسها ، ومن ثم ارسلت مس ويليامز لاستدعاء الطبيب وذلك لكى تزيل عن الكأس والزجاجة آثار بصماتها وتضغط بأصابع القتيل على الزجاجة

فقال بوارو فى دهشة :

ـ تضغط بأصابع القتيل على زجاجة البيرة ؟

ـ نعم .. ولكن خدعتها انكشفت بسهولة ، وقد جعلها ممثل الاتهام اضحوكة الجميع فى المحكمة حين بين للقضاة ان وضع بصمات القتيل يدل بوضوح على انه مفتعل ، وانه لايمكن أن يكون قد أمسك الزجاجة فى هذا الوضع الا اذا كانت مقلوبة ، وكانت هى ترجو أن توهمنا ان زوجها مات منتحرا بسبب وخز الضمير . ولكن ثبت للجميع ، من شهادة الشهود ، وظروف حياة القتيل ، انه آخر من يفكر مجرد تفكير فى الانتحار

ولما أومأ بوارو برأسه ، استطرد المفتش يقول :

ـ انها لم تحاول ان تفكر لحظة واحدة تفكيرا سليما . كان الحقد والغيرة قد أكلا قلبها واضلا عقلها . كانت تريد ان تقضي عليـــه . فلما نجحت في هذا ورأته أمامها جثة هامدة ، بدأت تدرك هــول الجناية التي ارتكبتها ، والمصير المنتظر لها ، فشرعت تبحث عن منقذ للنجاة ، فلم تجد أمامها غير نظرية الانتحار

ـ معقول جدا

ـ هل اقتنعت الآن يا مسيو بوارو بأن هذه القضية كانت واضحة منذ اللحظة الأولى ؟

ـ تقريبا . . . ولكن لا تزال هناك نقطة او اثنتان في حاجة الى مزيد من الايضاح

ـ انني على استعداد لان أرد على أي سؤال

ـ ماذا كان يفعـــل المقيمون في القصر أو بقية الضيوف في ذلك الصباح ؟

ـ لقد تحرينا عن تصرفات كل واحد منهم . . ولكنني ابادر فأقول انه في حالة وقوع جريمة قتل بالسم لايمكن ان يكون اى انسان قريب من مسرح الجريمة ، فوق الشبهات تماما ، لا سيما اذا كان السم من النوع البطيء المفعول . اعني ان في مقدور اى قاتل ان يعطي كمية من السم في برشامة للمجني عليه قائلا له انها دواء لعسر الهضم ـ مثلا ـ يؤخذ بعد الاكل ، ثم يسافر الى آخر الدنيا بالطائرة ، ويموت المجني عليه دون ان يعرف احد الحقيقة

ـ ولكنك لا تعتقد ان هذا ما حدث ؟!

ـ لا لا . . لم يكن المستر كريل يعاني عسر الهضم . ولا أعتقد ان احدا اعطاه السم في برشامة . . حقا لقد نصح له مستر ميرديث بتعاطي « بلابيع » خاصة لتقوية الجسم من صنع يديه . ولكن كريل لم يعمل بهذه النصيحة ، ولو انه عمل بها لجعل من هذا الدواء مادة الضحك والتندر . . ثم انه ليس هناك ما يدعو ميرديث الى قتل كريل . . فقد كانت العلاقة بينهما اطيب ما تكون مودة وتقـــديرا متبادلا . . وكذلك كان الحب يربط بين مس الزا وكريل . . فليس هناك ما يدعوها لقتله ، وايضا ليس هناك اى باعث لان يقتل فيليب

بينك اعز اصدقائه ، واعنى به كريل ؛ ولكننا لا ننكر أن مس ويليامز لم تكن على علاقة طيبة بكريل، اذ كانت تعرب دائما عن نفورها من سلوكه مع النساء ، واستهتاره المشين بالعلاقات الزوجية .. ولكن نفورها هذا ما كان ليصل الى حد ارتكابها جريمة قتله بالسم .
وكذلك كانت مس انجيلا وارين دائمة الشجار مع زوج اختهـا . ولكنها كانت صبية صغيرة على وشك الالتحاق بمدرسة داخلية .. وكانت رغم شجارها الدائم مع كريل تميل اليه ويبادلها هـذا الميل ، والمعروف أن هذه الفتاة كانت تعامل فى القصر معاملة خاصة زاخرة بالحب والعطف والتدليل ، وذلك لانها اصيبت على يدى اختها مسز كريل ، وهى طفلة صغيرة ؛ باصابة شوهت جانب وجهها وافقدت احدى عينيها النظر .. ولهذا كانت مسز كريل تحاول أن تعوضها عما أصابها بالاسراف فى الحب والتدليل وتلبية كل رغباتها
وعندئذ قال بوارو :
ـ ولكن هذا لا يمنع من استمرار الفتاة فى الشعور بالحقد على اختها كارولين التى كانت السبب فى تشويه وجهها !
ـ ربما .. ولكن هل يمكن أن يدفعها هذا الحقد، ان كان موجودا، الى قتل امياس كريل ؟ انه احتمال بعيد جدا ، وأيا كان الامر ، فان مسز كريل قد تولت بنفسها رعاية أختها هذه غير الشقيقة بعد وفاة والديها ، وأسبغت عليها من الحب والعطف الشىء الكثير . وقد شهد الجميع ان انجيلا كانت تحب اختها أشد الحب، ولهذا اصرت مسز كريل على أن تظل الفتاة بعيدا عن اجراءات المحاكمة وآلامها، ولكن انجيلا كانت شديدة القلق والحزن والحث فى رؤية اختهـا بعد صدور الحكم ، ولكن مسز كريل رفضت بشدة ان تقابلها ، قائلة : « ان منظرها وهى بملابس السجن سوف يترك فى نفس الفتاة الصغيرة اثرا عميقا قد يدمر حياتها » ومن ثم أرسلت بها الى مدرسة داخلية خارج البلاد
وأردف المفتش هيل ، بعد برهة صمت وجيزة ، قائلا :
ـ لقد أصبحت مس وارين الآن ، اى بعد ستـة عشر عاما ، شخصية مشهورة بعد أن قامت برحلات كثيرة الى مناطق الآثار وبعد أن القت المحاضرات فى الجمعية الجغرافية الملكية ، وبعد أن جعلت لنفسها اسما لامعا فى الكتابة للصحف والمجلات

ــ ولم يعد احد يذكر المحاكمة ؟

ــ ولماذا يذكرونها ؟ ان مس وارين لا تحمل اسم والد كارولين ، فقد كانتا اختين غير شقيقتين ، من أم واحدة وابوين مختلفين .. ان اسم والد كارولين ، هو سبالدنج ..

ــ هل كانت مس وليامز المربية والمدرسة الخاصة لطفلة مستر ومسز كريل أما لمس وارين ؟

ــ كانت المربية والمدرسة الخاصة لمس وارين

ــ واين كانت ابنة كريل عند وقوع المأساة ؟

ــ كانت مع مربيتها الخاصة فى زيارة لجدتها الليدى تريسليان وكانت سيدة ارملة فقــدت ابنتها ، وأصبحت شــديدة التعلق بحفيدتها الصغيرة

ولما أومأ بوارو براسه ، استطرد المفتش هيل يقول :

ــ أما عن تصرفات الموجودين فى القصر يوم المأساة ، فيمكننى أن اقدم لك تقريرا كاملا دقيقا . فمس الزا جرير كانت ــ بعد طعام الافطار ــ جالسة فى الشرفة الواســعة ، تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة ، وهناك ــ كما سبق القول ــ سمعت المشاجرة التى وقعت بين كريل وزوجته ، وبعد ذلك صحبت كريل الى حديقة البحر حيث جلست أمامه على السور الحجرى فى الوضع المطلوب للرسم . وظل كريل يعمل فى الصورة حتى موعد الغداء دون أن يستريح الا مرتين فقط للتخفيف عن عضلاته .. أما فيليب بليك فكان ــ بعد الافطار ــ فى القصر ، وقد سمع ايضا طرفا من المشاجرة التى وقعت بين الزوجين ، وبعد انصراف كريل والزا جرير الى حديقة البحر ، جلس فى الشرفة يقرأ صحيفة الصباح الى أن اتصل به اخوه ميرديث تليفونيا وابلغه نبأ اختفاء كمية من سم الكونين ، ومن ثم ذهب ليقابل اخاه عند شاطىء البحر ، ثم سار معه فى طريق العودة الى القصر ، فى الممر الصاعد المتعرج ، وقد مرا فى طريقهما بجانب سور حديقة البحر ، وكانت مس الزا جرير قد تركت مكانها ، وذهبت الى القصر لتحضر سترة من الصوف تضعها على كتفيهــا اثناء جلوسها امام الرسام ، وقد سمع الشقيقان ، وهما يمران بجوار سور الحديقة ، حديثا يجرى بين مستر كريل وزوجته وكان

يبدو من طبيعة الحديث انهما يتناقشان فى موضوع ترحيل انجيلا وارين الى المدرسة

وعندئذ قاطعه بوارو قائلا :

ــ آه . . . اذن كانت محادثة هادئة ؟

ــ لا . . لم تكن هادئة باية حال ، فقد كان كريل يصيح فى حديثه . ويبدو انه كان ممتعضا لان زوجته قطعت عليه عمله فى اللوحة بشئونها المنزلية الخاصة

واوما بوارو براسه ، بينما استطرد المفتش هيل قائلا :

ــ وتبادل الشقيقان الحديث برهة وجيزة مع كريل . . ثم حضرت مس الزا جرير بالسترة الصوفيـة ، وجلست فى الوضع المناسب للرسم ؛ وعندئذ تناول كريل فرشاته واستانف عمله مقطب الجبين ، وادرك الشقيقان انه ليس لهما مجال فى حديقة البحر ، فغادراها الى القصر . وبهذه المناسبة اذكر ان كريل شكا من سخونة البيرة الموجودة فى حديقة البحر اثناء وجود الشقيقين ومسز كريل معه ، وقد وعدته مسز كريل بان تاتى اليه بزجاجة مثلجة من الثلاجة الموجودة بالقصر

ــ هكذا ؟

ــ نعم . . هكذا . . كانت حتى آخر لحظة تعامله بنعومة الافعى هذا هو رايى الخاص ، وعلى كل حال ، فقد جلس الشقيقان فى شرفة القصر حيث احضرت لهما انجيلا وارين زجاجات البيرة المثلوجة مع الاقداح ، وبعد ان شربا كفايتهما ، ذهبت انجيلا مع فيليب بليك للسباحة ، ومضى ميرديث الى مكان مكشوف يشرف على حديقة البحر ، فجلس فيه ، وكان يستطيع من مكانه هذا ان يرى الزا جرير وهى جالسة على السور الحجرى ، وان يسمع حديثها مع كريل . . وقد ظل جالسا فى موضعه ذاك يفكر فى كمية الكونين المسروقة من معمله ، وكان شديد القلق لهذا السبب ؛ ولايدرى ماذا ينبغى ان يفعل ، ورأته الزا جرير من مكانها ، ولوحت بيدها . ولما دق الجرس معلنا عن موعد الغداء ، هبط من مكانه الى حديقة البحر وغادرها مع الزا جرير الى القصر ، وهو يذكر بهذه المناسبة ؛ انه راى كريل فى حالة غريبة . . ولكنه لم يهتم بالامر ؛ لانه كان يعرف ان كريل من النوع الذى يكره الاعتراف باى مرض . كما

كان يعرف انه متقلب المزاج .. فهو احيانا يبدو شديد الابتهاج اذا كان العمل فى اللوحة التى بين يديه يسير كما يريد ويرجو ؛ والا ، فهو مكتئب ، متجهم الوجه نارى النظرات ، وفى مثل هذه الحالات لا يسع الانسان الا أن يبتعد عنه . اما عن بقية الموجودين ، فقد كان الخدم مشغولين طوال فترة الصباح باعمالهم داخل القصر ، وكانت مس ويليامز قد امضت فترة طويلة من الصباح فى غرفة الجلوس ، وامضت انجيلا وارين معظم فترة الصباح متجولة فى الحديقة الواسعة ؛ أو متسلقة الاشجار ، او أى شىء من هذا القبيل ولما عادت لم تلبث أن صحبت مستر فيليب للسباحة فى البحر

وتوقف المفتش هيل أخيرا عن الحديث ، ثم قال فجأة :

ـ والآن .. هل تجد فى تصرفات أحد من الموجودين فى القصر ما يثير الاشتباه أو الشك ؟!

ـ لا .. مطلقا

ـ حسنا .. هل لديك أى شك الآن فى ادانة مسز كريل ؟

ـ انتى لا ادرى على وجه التحديد ، ولكنى ساحاول أن ازداد اقتناعا

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ سازور الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين مع مستر ومسز كريل يوم المأساة ، وساحاول أن اظفر باقوال كل منهم على حدة بشأن هذه الجريمة

فتنهد المفتش فى عمق وقال :

ـ وهل تعتقد أن اقوالهم ستتفق بعضها مع بعض بعد كل هذه السنوات .. وهلا تعرف هذه الحقيقة البدهيــــة ، وهى أن اقوال شهود الحادث الواحد تختلف عادة باختلاف أمزجتهم وطبائع نفوسهم

ـ ولكن الحقائق الاساسية تبقى ثابتة فى اقوالهم المختلفة

ـ اخشى ان تحصل فى النهاية على خمسة تقارير لخمس جرائم يختلف بعضها عن بعض

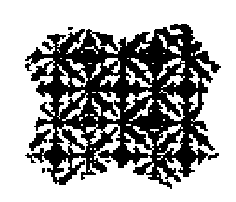
ـ ان هذا هو ما اعتمد عليه في الوصول الى الحقيقة .. فان اصطدام هذه الاقوال هو الذى سيطلق الشرارة التى تضيء أمامى السبيل

وقبل ان ينصرف بوارو ، قال المفتش كانما تذكر شيئا :

ـ وبهذه المناسبة نسيت ان اخبرك اننا عرفنا أيضا الوسيلةالتى نقلت بها كارولين السم من الزجاجة الى كأس زوجها

ـ وما هى ؟!

ـ خزان قلم حبر ، عثرنا عليه فى الممر المتعرج محطما ، بعد أن داست فوقه عشرات الاقدام !



الفصل الثالث

العدو العاشق

وبدا بوارو تحرياته بزيارة فيليب بليك

وكان فيليب قد أصبح في خلال هذه السنوات الست عشرة،رجل أعمال ناجح ، وسمسارا كبيرا في بورصة الاورق المالية · وكان في مظهره قصيرالقامة ، يميل الى البدانة ، مكتنزالوجه ، ماكرالنظرات · وقد حرص بوارو على أن يخفى عنه الحقيقة الكامنة وراء زيارته،وانما ذكر له أنه منتدب من شركة كبيرة للنشر ، لجمع الحقائق ــ الخاصة ــ عن الجرائم الكبرى التى اهتز لها الرأى العام خلال العشرين سنة الماضية ، وذلك لنشرها فى مجلد خاص

وقطب فيليب جبينه فى دهشة وقال :

ــ يا للسماء ·· لماذا يعمد الناشرون الى نبش الماضى ، واعادته الى أذهان الناس ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

ــ هذه هى طبيعة القراء ·· انهم يحبون هذه الالوان من القراءات المثيرة

ــ غيلان !

ــ ولكنها الطبيعة الانسانية ، فانت وانا يا مستر بليك أعرف الناس ــ بحكم تجاربنا ــ بطبائع البشر ، وقد سمعت أنك من أبرع الناس فى سرد مثل هذا القصص

وضحك فيليب وقال :

ــ هل بلغتك هذه الحقيقة عنى ؟

ــ بلا شك ·· بلا شك

وتراخى فيليب فى مقعده ، ثم قال فجأة :

ـ انك لست كاتبا قصصيا ، أليس كذلك ؟

فقال بوارو فى تواضع مصطنع :

ـ لا ... بل مجرد مخبر بوليس خاص

ـ أوه .. اننى أعرف أنك هيركيول بوارو الشهير

ـ يسرنى اننى معروف لك ، ولعل هذا ييسر مهمتى لديك

ـ اننى شخصيا لا أجد أى مانع فى الحديث عن ذكريات الماضى.. فماذا تريد أن تعرف !

ـ ارجو أن تحدثنى بكل ماتعرف عن مأساة الرسام امياس كريل ، فكلنا نعلم أنه كان من أعز أصدقائك

فصمت فيليب برهة ثم قال :

ـ لقد أصبحت هذه المأساة ملكا للرأى العام منذ وقوعها ،واعتقد ان احداثها والظروف المحيطة بها ، معروفة للجميع ، ولا سيما فى سجلات البوليس

ـ ولكننى أرجو ان أعرف رأيك الخاص فى هذه المأساة ، وتأثيرها فى نفسك

ـ آه .. تتحدث عن تأثيرها فى نفسى ؟ لقد كان تأثيرها قاسيا رهيبا .. يكفى أن تعلم أنه كان فى مقدورى أن أنقذ صديقى كريل من الموت لو أنى تصرفت بسرعة وحكمة عندما أخبرنى أخى ميرديث عن اختفاء كمية من سم الكونين من معمله

ـ هل كان هذا فى مقدورك حقا أم انك تبالغ فى الشعور بوخز الضمير ؟

ـ اسمع .. اننى أفترض أنك تعرف الحقائق الاساسية عن هذه المأساة بعد ان قرأت ماكتب عنها فى حينها

ولما أومأ بوارو برأسه ، أردف فيليب بليك قائلا :

ـ حسنا .. عندما أخبرنى أخى ميرديث باختفاء كمية من سم الكونين من معمله.كان فى حالة نفسية بالغة السوء ، ومع ذلك ، فلم اتصرف بالسرعة الواجبة..وانما أرجأت مناقشة هذا الامر الى مابعد الظهر .. ولكن المأساة وقعت بعد تناول الطعام مباشرة ، أعنى أننا

اكتشفنا وقوعها بعد أن فرغنامن طعام الغداء · ولو أني أحسنت التفكير والتصرف في ذلك الصباح . لأدركت فورا أن كارولين هي السارقة لكميــــة سم الكونين ، ولعملت على تحذير الزا وكريل ·· نعم كان ينبغي ان اذهب فورا اليهما واخبرهمــا أن كارولين تنوي بهما شرا ليكونا على حذر ··

ونهض بليك وراح يذرع الغـرفة جيئة وذهابا في انفعال ، ثم استطرد يقول :

ـ يا اله السموت ·· أتظن يا رجل أنني لم أتعذب أشد العذاب كلما فكرت في سوء تصرفي · لقد كنت أعلم ، أو كان ينبغي أن أعلم بداهة أن كارولين هي التي اختلست كمية السم · وكانت الفرصة أمامي سانحة لانقاذ صديقي من الموت ، ولكنني أهملت وتهاونت · لماذا لم أدرك منذ اللحظة الاولى أن كارولين ، في ثورة غضبها وانفعالها بسبب معاملة زوجها لها ، سوف تنتهز أول فرصة للقضاء عليه بعد أن حصلت على السم ! لماذا تهاونت ؟ هـذا هو الذي يؤلمني ويقض مضجعي

فقال بوارو مواسيا :

ـ اعتقد يا مستر فيليب أنك تشتد في تأنيب نفســك أكثر مما ينبغي ، فلا شك أن الاحداث لم تترك الوقت الكافي ···

ـ الوقت الكافي ؟ لقد كان لدي ما يكفي من الوقت،وكانت جميع الفرص واضحة أمامي لانقاذه ·· كان في وسعي أن أذهب الى أمياس لأحذره ·· نعم كان من الممكن أن يضحك ويسخر من تحذيري · فما كان أمياس بالرجـل الذي يسهل اقناعه بانه معرض لأي خطر نعم كان يمكن أن يسخر مني · انه لم يستطع يوما أن يفهم حقيقة زوجتـه · لم يكن يدرك مبلغ ما كانت عليه من شر وعنف وقسوة حسنا · ولكن كان في وسعي أن أذهب اليها هي ·· الى كارولين ، وأن أقول لها : « انني أعرف ماذا تنوين أن تفعلي ، انني أعرف أنك اختلست كمية من السم من معمل أخي ، فاذا مات أمياس مسمما بالكونين ، فثقي بأنك ستموتين على حبل المشنقة » نعم ، ان كلمات كهذه كانت كفيلة بوقفها عند حدها ··· وكذلك كان في مقدوري أن أتصل برجال البوليس ، نعم ، كانت أمامي وســـــائل كثيرة

لانقاذ صديقى ، ولكننى ، بدلا من اتخاذها ، تركت ميرديث يؤثر فى نفسى بحديثه الهادىء ، وطريقته البطيئة اذ قال : « يجب أولا يا فيليب أن نعرف ونتأكد من هو الذى اختلس الكونين قبل أن نلقى بالتهم جزافا » نعم ، هكذا هو ميرديث دائما ، بطىء التفكير بطىء الحركة ، متردد ، حمدا لله أنه الأخ الاكبر الذى ورث الضيعة والقصر ، والا لمات جوعا ، فانه آخر من يصلح للنجاح فى الحياة

وقال بوارو بهدوء :

ـ اذن لم يكن لديك أدنى شك فى سارقة السم ؟

ـ لا ، لم يكن لدى أدنى شك ، لقد عرفت فورا أنها كارولين ، نعم ، فأنا أكثر الناس معرفة بحقيقة أمرها

ـ هذا شىء مثير للفضول يامستر بليك ، أى نوع من النساء كانت هى ؟

فقال فيليب بليك فى حدة :

ـ انها ليست المسكينة المجروحة فى كبريائها كما ظنها الناس اثناء المحاكمة

ـ اذن ماذا هى فى الحقيقة ؟

فجلس فيليب مرة أخرى وقال فى لهجة جادة :

ـ هل تريد حقا أن تعرف كل شىء عنها ؟

ـ جدا

ـ كانت كارولين امرأة سوء · لم أر فى حياتى امرأة أسوأ منها ، نعم ، لا انكر أنها كانت موفورة الجاذبية والجمال ، وأنها كانت تتمتع بهذه الرقة التى تخدع الناس فى حقيقة أمرها ، نعم ، كانت لها هذه النظرة الناعمة ، المستسلمة ، الوادعة ، التى تثير فى قلب الرجل عوامل النخوة والشهامة والفروسية · لقد قرأت فى كتب التاريخ عن الملكة مارى ، ملكة الاسكتلنديين، انها كانت جذابة، جميلة ، سيئة الحظ ، ولكنها ، فى الواقع ذكية ، مدبرة ، ماكرة ، عرفت كيف تضع الخطة للقضاء على الامير دارنل دون أن تثير حولها الشبهات · وهكذا كانت كارولين ، جذابة ، جميلة ، تبدو وادعة ، ولكن لها فى الواقع نفسية القاتل ، وطباع الوحش

وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلا :

ـ انني لا أدرى هل علمت بهذه الحقيقة أم لا . فانها لم تكن ذات اهمية كبيرة أثناء المحاكمة ، ولكنها ، في رأيي ، ذات دلالة أكيدة على حقيقة أخلاق هذه المرأة • واعني بهذه الحقيقة ما فعلته باختها الصغرى انجيلا وارين • انها الغيرة العمياء . لقد تزوجت أم كارولين مرة أخرى ، وأنجبت من زوجها الجديد انجيلا ، وكان طبعيا أن تركز الام معظم عواطفها وحنانها في الطفلة الصغيرة ، ولكن كارولين لم تحتمل هذا . ملأت الغيرة قلبها من أختها الطفلة ، فحاولت أن تقتلها بقضيب من الحديد • ضربتها على رأسها ، ولكن الضربة لم تقتل الطفلة وانما شوهت جانب وجهها وأفقدت احدى عينيها النظر • فهل هناك أبشع من هذا ؟

ـ لا ، مطلقا

ـ حسنا • هذه هي كارولين ، انها تريد دائما أن تكون الاولى • وان الشيء الوحيد الذى لم تكن تطيقه أو تفهمه ، هو أن تتخلف عن غيرها • كان في أعماق نفسها شيطان ، مريد ، الويل لمن يثيره

وبعد فترة من الصمت ، استطرد فيليب يقول :

ـ قد يبدو لك أنها ، بسبب هذا الحادث مع أختها ، امرأة متهورة ، مندفعة ، ولكنها في الواقع شديدة المكر قادرة على التدبير والتآمر ، فبعد وفاة والديها ، جاءت للاقامة ـ وهي فتاة في سن الزواج ـ في قصر آلدربرى مع آل كريل الذين يمتون اليها بصلات من القرابة البعيدة • وفي أثناء هذه الفترة التى أمضتها معهم قبل الزواج ، راحت تعجم أعوادنا جميعا ، نحن شباب المنطقة • ولم تفكر هي في مجرد الزواج مني لأنى كنت يومئذ فقيرا بعد أن آلت الثروة الى أخي ميرديث • وكانت هي أيضا فقيرة ، ومن ثم رأت أن من المستحيل عليها أن تجمع بين فقرى وفقرها • ومن العجيب ، أو الطريف ، انني الآن أوسع الجميع ، جميع زملائي وأقاربي ، ثراء ، حسنا ، وفكرت في الزواج من ميرديث ، ولكنها لم تلبث أن ألقت بشباكها على أمياس كريل ، فقد كان المعروف أن أمياس هو الوارث الوحيد لقصر آلدربرى والضيعة المحيطة به • وقد أدركت بذكائها انه فنان موهوب ، وأن المال سيجرى بين يديه أنهارا بعد أن يدرك الناس حقيقة موهبته كرسام نابغ • وقد صدق حدسها ، وذاعت شهرة أمياس ، وجرى المال بين يديه . وأصبح من أكبر الرسامين

فى عصره • هل رأيت لوحاته ؟ ان لدى واحدة منهــا • تعال وأنا أفرجك عليها

ثم تقدمه الى قاعة المائدة ، حيث أشار الى لوحة كبيرة معلقة على الجدار الايسر ، وقال :

ــ هذه بريشة أمياس

ونظر بوارو فى صمت ودهشــة • كانت اللوحة تصور اناء من الازهار فوق منضدة من خشب الجوز اللامع • وكانت الازهار تبدو متوهجة بالحياة والنضارة ، وكان الخشب المصقول اللامع يكاد يهتز كلما أمعن الانسان النظر اليه • وتنهد بوارو وقال :

ــ نعم • ان لمسة العبقرية واضحة فى هذه اللوحة

وعاد فيليب بليك الى الشرفة التى كانا جالسين فيها ، حيث غمغم قائلا :

ــ اننى لا افهم شيئا عن الفن ، ولكننى اشعر ان رسوم كريل تمتاز بشىء غامض مثير تجعل من يراها مرة لا ينساها أبدا

ثم اردف قائلا بعد أن قدم الى ضيفه لفافة تبغ :

ــ هــذا هو العبقرى الفنان الذى قتلتــه زوجتــه ، وهو فى اوج الحيــاة والمجد والشهرة . ولعلك تعتقد اننى متحامل على كارولين . ربمــا ، ولكنى اؤكد لك أن هذه المراة ، برغم جمالهــا وجاذبيتها ، كانت الشر بعينه . كانت تجمــع بين القسوة والطمع والميل الغريزى الى الشر

ــ ولكننى سمعت يا مستر فيليب انهــا تحملت الشىء الــكثير من نزوات زوجها واستهتاره الدائم بالعلاقات الزوجية

ــ نعم ، كانت جسد حريصة على أن تجعل كل الناس يعتقدون انها الضحية البريئة لخيانات زوجها . ولكن الحقيقة هى أن حياة كريل الزوجية كانت سلسلة متصلة من المشاجرات والخصومات والمنازعات ، ولكن المسكين كان يفر من هذا الجحيم الى فنه . كان يعيش فيه ومن أجله • كان يتجاهل كارولين وشغبها ومضايقاتها عندما ينهمك فى رسم لوحة جديدة . ويخيل الى انها كانت تستمد السعادة من مشاجراتها مع زوجها ، فهى فى كل مشاجرة كانت تطلق لسانها بالعبارات القاسية العنيفة ، وكأنما تريد أن تفرغ فيه كل

ما تزخر به نفسها من سوء وفساد ، فاذا انتهت المشاجرة ، رأيتهما سعيدة مبتهجة ناعمة البال . ولكن هذا كله كان يثقل على كريل . فقد كان ، كفنان ، يحب الهدوء ، والحياة الراضية . اعتقد انه أخطأ بالزواج . فان رجلا مثله كان ينبغي أن يعيش حرا من القيود الزوجية

ــ هل كان يفضي اليك بمتاعبه ؟

ــ كان يعرف انني صديق وفي مخلص منذ الصبا . ولكنه لم يكن يشكو ، وانما ينفجر أحيانا بمثل هذه العبارة « اللعنة على جميع النساء » ، او « حذار ان تتزوج يا صديقي ، فان الزواج هو جحيم هذه الدنيا »

ــ هل كنت تعرف علاقته بمس الزا جرير ؟

ــ نعم ، اخبرني ذات يوم أنه تعرف بفتاة مدهشة ، تختلف عن كل اللاتي تعرف بهن من قبل ، وقد سخرت في نفسي من حديثه هذا ، فقد كان يقول عن كل فتاة او امرأة يتعرف بها انها مدهشة وتختلف عن الجميع ، ثم لا يلبث أن يضيق بها ، ويهرب منها . ولكني حين رأيت الزا جرير في قصر آلدربري ، أدركت أن الامر ، في هذه المرة جد خطير ، فقد كان الواضح للجميع ان المسكين غارق في حبها الى أذنيه ، وان هذه اللعينة عرفت كيف تأسره

ــ كانك لم تكن راضيا عن الزا أيضا !

ــ لا . لم أشعر باي ميل نحوها . فقد كانت هي أيضا تريد ان تستحوذ عليه تماما ، أن تضمه في « القفص » ، أن تسيطر على جسمه وروحه معا ، ولكني ، مع هذا ، كنت اعتقد انها ستكون ــ كزوجة ــ افضل من كارولين . على اني في الواقع ، كنت أفضل لو ان كريل عاش بعيدا عن شباك النساء

ــ ولكن يبدو انه كان مفتونا بهن

ــ نعم ، كان الاحمق لا يكاد ينجو من مغامرة عاطفية ، حتى يقع في اخرى ، ولكن يبدو أن المرأتين اللتين كان لهما اكبر الاثر في حياته ، هما كارولين والزا جرير ..

ــ وهل كان محبا لاخت زوجته ، انجيلا ؟

ــ اعتقد هذا ، فقد كانت الفتاة دائما لطيفة مرحة ، ولكنها احيانا كانت تتمادى في عبثها معه ، فيشتد عليها ، وعندئذ تتدخل

كارولين وتقف فى صف اختها ضده ، وكان هذا الموقف من كارولين يزيد من غضبه على انجيلا ، بل ومن غيرته أيضا ، كان يعتقد أن زوجته تفضل اختها عليه ، وتوليها من الحب أكثر مما توليه ، وكانت انجيلا فى الوقت نفسه تغار من امياس وتحاول أن تظفر دونه بقلب اختها . وقد قرر هو ان تذهب الى مدرسة داخلية فى ذلك الخريف ، واصر على تنفيـــذ قراره ، وثارت هى بشـــدة على هـــذا القرار : لا لأنها تكره الذهاب الى المدرسة ، وانما للطريقة الاستبدادية التى اتخذ بها امياس هذا القرار . والواقع انه ، من هذه الناحية ، كان على حق ، فقد تسودت انجيلا كلما غضبت منه أن تتمادى فى معابثته، وفى ذات مرة وضعت فى سريره عشر خنـــافس ، نعم ، لقـــد كان الاوان قد آن فعلا لالحاقها باحدى المدارس الثانوية

ــ وهل كان يحب ابنته الطفلة كارلا اشد الحب ؟

ــ اعتقد هذا .. كان يحبها ويدللها ويستمتع باللعب معها كلما شعر بالضيق أو الاكتئاب ، ولكن عاطفته نحوها ما كانت لتمنعه من الزواج بالزا ، اذا كان هذا هو قصدك من السؤال ، انه ، فى رأيى ، لم يكن يحب ابنته هذا الحب الذى يجعله يضحى بسعادته الخاصة من اجلها

ــ وهل كانت كارولين متغالية فى حب ابنتها كارلا ؟

ــ لا أستطيع أن أقول انها لم تكن أما مثالية ، نعم ، لا اســـتطيع ان أزعم هذا . ولعل أشد ما آلمنى فى هذه المأساة هو موقف هـــذه الابنة المسكينة التى فقدت أمها وأباها فى وقت واحد ، وفى مثل هذه الظروف ، لقد أرسلوا بهـــا الى ابنة عم أبيها فى كندا . وانا ارجو أن يكونوا هناك قد اخفوا عنها هذه المأساة

فهز بوارو رأسه وقال :

ــ مثل هذه المآسى ، يا مستر بليك ، لا يمكن أن تظل خافية الى الابد

ــ من يدرى ؟

ــ حسنا يا مستر بليـــك . اننى سالتمس منك شيئا ارجو ان تحققه .. اننى أرجو أن تكتب لى كل ما تعرفه أو تذكره عن تفاصيل هذهالمأساة

ــ ولكنني يا مسيو بوارو لا أستطيع أن أتذكر التفاصيل بدقة ، بعد كل هذه السنوات

ــ أعتقد انك حين تبدأ فى الكتابة ، ستجد نفسك قد تذكرت كل شيء تقريبا

ــ عجبا !

ــ هذه هى احدى عجائب الذاكرة ، فانك حين تثيرها ، تفتح لك أبواب خزائنها وتطلق منها من الذكريات ما سوف تدهش له

ــ ولكن ، لماذا ؟ أليست سجلات البوليس الخاصة بهذه المأساة تحت أمرك !

ــ نعم ، ولكنني أرجو أن أعرف بعض الحقائق الخاصة التي سوف ترد في كتابتك عن الحادث، وأنا واثق أنه كانت هناك عبارات وتفاصيل وأشياء كثيرة لم يرد لها ذكر فى تحريات البوليس أو أثناء المحاكمة ، على أساس انها ليست بذات اهمية ، ولكنها ، فى الواقع ، قد تكون بالغة الاهمية

ــ ولكنني رجل كثير الشواغل و . . .

ــ انني مستعد يامستر بليك أن . . . ان ادفع الاجر المطلوب

ــ لا . . . لا ، انني اذا قررت الكتابة ، فسوف أكتب ذكرياتي عن المأساة بدون مقابل ، بشرط الا تنشر شيئا من اقوالي بغير اذن مني

ــ اتعهد لك بهذا ، واقدم لك جزيل الشكر



الفصل الرابع

الحبيب الهادئ

حرص هيركيول بوارو على ان يتزود بخطاب توصية من صديقته الليدى مارى ليتون الى المستر ميرديث بليك ، عندما ذهب لزيارته فى ضيعته هاندكروس وقد استقبله ميرديث فى أول الأمر بشيء من الارتباك والاضطراب . ولكنه ماكاد يطلع على خطاب الليدى مارى، حتى استرد رباطة جأشه ، وراح يتبادل مع بوارو الحديث عن الليدى مارى ، وعن الصيد والقنص فى الريف ، وعن هواية سباق الارانب والكلاب • وقد بدا ميرديث بقامته الطويلة وحركته البطيئة ، وتحفظه فى الحديث ، انموذجا لاعيان الاقاليم المحافظين

ولما حدثه بوارو عن رغبة « دار النشر » فى الحصول على بعض المعلومات الخاصة من الاشخاص الاحياء الذين شهدوا مأساة الرسام امياس كريل ، قال ميرديث فى عنف وهو يحشو غليونه :

ـ أليس من الوحشية الآدمية نبش مثل هذه المآسى التى عفى عليها الزمن ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

ـ انني أتفق معك فى هذا ، ولكنها رغبة القراء الذين يحبون هذا اللون من الاحداث الحقيقية الواقعية

ـ انني مصر على أن هذا أمر شائن

فقال بوارو فى صوت رقيق :

ـ نعم ، ولكننا ، فى هذا الكتاب ، سنحاول بقدر الامكان ان نبين للقراء الظروف التى أحاطت بالحادث وأدت اليه ، وان كارلا كريل شديدة الاهتمام بهذا الامر وتعتقد أن مثل هذا الكتاب قد يخفف شعور الرأى العام نحو امها

ــ أوه ، كارلا ... كارلا الصغيرة . لا شك انهـا قد أصبحت الآن شابة

ــ نعم ، فان السنين تمر بسرعة غريبة احيانا

فتنهد ميرديث وقال :

ــ باسرع مما يظن الانسان

ــ واهم من هذا كله ان كارلا تريد أيضا أن تعرف حقيقة المأساة من أقوال الذين كانوا موجودين عند وقوعها ، وذلك لانها غير مطمئنة الى تحريات البوليس وأقوال بعض الشهود . انها تريد أن تعرف كل شيء عن أمها وابيها من أولئك الذين كانوا اقرب الناس اليهما عند وقوع المأساة

ــ نعم ، نعم ، لا شك ان هذه المسكينة فجعت حين علمت اخيرا بمأساة أبويها . ولا شك أن فجيعتها تضاعفت حين اطلعت عـلى تفاصيل المأساة من سجلات البوليس الجافة الخالية من اية عاطفة

وعندئذ أسرع بوارو قائلا :

ــ هذا تماما ما تريده كارلا ، وما نريده نحن . العواطف والمشاعر والانفعالات والتأثيرات التى كانت تتفاعل فى جو المأساة قبيل وقوعها

وصمت بوارو فجأة ، وبدا ميرديث يتحدث فى اهتمام . وقد اخذت الذكريات تتزاحم فى ذهنه :

ــ لقد كان امياس صديقا لنا منذ الطفولة .. وكانت أسرته ترتبط بوشائج الجوار والصداقة مع أسرتى منذ أجيال عديدة ، ولكن . لا يسع الانسان الا ان يعترف بأن تصرفاته كانت ... مخجلة ، مثيرة ولعل هذا يرجع الى مزاجه الفنى ، فانه يقال ان للفنانين أهواء ونزعات خاصـة ، غير طبيعية .. ولكن لكل شيء حدودا . وما أظن أن هناك انسانا يحترم نفسه يرضى أن يأتى بعشيقته الى بيت الزوجيـة ، ويواجه بها زوجته ، بل ويتحداها هكذا علنا امام الاصدقاء والجيران

ــ يسرنى ان اسمع منك هذا يا مستر بليك ، فالواقع أنه لا يوجد انسان كريم مهذب يقبل مثل هذا الوضع ، أو يخلق مثل هذا الموقف بين الزوجة والعشيقة

وتردد ميرديث برهة . ثم اذا وجهه يشرق بابتسامة غامضة وهو يقول :

ـ نعم ، نعم . ولكن المهم فى الموضوع هو أن امياس لم يكن انسانا عاديا أو طبيعيا ، وانما كان رساما ... فنانا ، وكان فنه يحتل من حياته ومشاعره المقام الاول . اذكر انه كان أحيانا يفضل الاستغراق فى العمل فى احدى اللوحات عن أية متعة أخرى من متع الحياة . وانا شخصيا لا أزعم انى أفهم شيئا عن مثل هذه الشئون الفنية . ولكننى استطيع القول ان امياس كان فنانا موهوبا حقا . هذه حقيقة يعترف بها الجميع الآن . واعتقد أن الدليل على اصالة موهبته انه لم يكن يهتم بأى شىء فى الحياة عندما يكون مشغولا بالعمل فى احدى اللوحات ، لم يكن يسمح لأى شىء ، أيا كان ، أن يقف بينه وبين اتمام اللوحة التى بين يديه . كان ، أثناء استغراقه فى رسم لوحة جديدة ، كرجل يعيش فى حلم ، فى عالم آخر ليس له صلة بعالمنا هذا . حتى اذا فرغ منها او كاد ، بدأ يلتقط خيوط الحياة العادية مرة اخرى

ونظر ميرديث فى تساؤل الى بوارو الذى هز رأسه موافقا ، وعندئذ استطرد يقول :

ـ ارى انك تدرك ما اعنى . حسنا ، لعل هذا يفسر شذوذ بعض تصرفاته ، ولا سيما هذا التصرف الذى جعله يجمع بين حبيبته وزوجته فى مكان واحد . لقد كان يحب الزا جرير حقا ، وكان على استعداد لان يطلق زوجته ، ويحرم نفسه من ابنته ، ليتزوج بها . ولكنه كان قد بدأ يرسمها هنا ، وهى جالسة على سور حديقة البحر ، وقد أراد أن يفرغ من رسم هذه اللوحة . ومن ثم لم يكن يهمه شىء .. أو يمكن القول انه لم يكن شاعرا تماما بالموقف الحرج الناشىء عن وجود الحبيبة والزوجة تحت سقف بيته واحد . أعتقد أن هذا هو العذر الوحيد الذى يمكن أن يلتمسه الانسان لمثل هذا التصرف الشاذ

ـ وهل كانت كل منهما تدرك حقيقة شعوره من هذه الناحية ؟

ـ أعتقد أن الزا كانت مدركة هذه الحقيقة . والواقع أنها كانت شديدة الاعجاب به كفنان ، فضلا عن حبها العميق له كرجل . ولعل هذا الاعجاب ، وهذا الحب ، كانا من الاسباب التى جعلتها تحتمل حرج الموقف بشجاعة ، بل بجراة تبلغ حد ... التهور

ـ وماذا عن كارولين ؟

ـ كارولين ؟ آه . لقد كنت دائما اشعر بالميل اليهـــا . وقد داعبني الامل يوما بالزواج منها ، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الامل . ومع ذلك فقد بقيت ـ اذا جاز لى أن أقول هذا ـ محبا لها ، واضعا نفسي في خدمتها

وأوما بوارو براسه في فهم وادراك . لقد كان يعلم ان مثل هـذا الرجل المحافظ اذا أحب ، فانه يحب بشرف ، ويتفانى فيمن يحب الى حد التضحية دون انتظار لشكر أو جزاء

وقال وهو يزن كلماته بعناية :

ـ اذن لاشك انك لم تكن راضيا عن تصرفات كريل معها !

ـ نعم ، وقد تحدثت معه بشأن هذه الفتاة الزا جرير

ـ متى ؟

ـ في اليوم السابق على المأساة . لقد حضروا هنا جميعا لشرب الشاى ، ومن ثم انفردت بكريل وقلت له انه بهذا التصرف يسيء الى كل من كارولين والزا ، وانه اذا كان ينوى الزواج بالفتاة ، فليس هناك ما يدعوه الى احراج كارولين وتحديها هكذا علنا ، فليست هناك زوجة تستطيع أن تحتمل مثل هذا الموقف

ـ وماذا كانت اجابته ؟

ـ قال ان على كارولين أن تحتمل رغما عنها

ـ لا شك انها اجابة خالية من كل عطف واشفاق

ـ نعم ، ولهذا لم استطع أن اتمالك زمام اعصابى ، فعنفته بشدة قائلا ان الواجب عليه أن يجنب زوجته هذا العذاب حتى لو لم يعد يحبها ، وانه لوكان يحب الزا حقا لما عرضها لمثل هذا الموقف الحرج، فما كان منه الا أن أجاب قائلا ان على الزا أيضا أن تحتمل هـذا الموقف رغما عنها ، ثم استطرد في حديثه معى فقال ان هذه اللوحة التي يعمل بها هي خير انتاجه الفني كله ، وانه لن يسمح لاية امرأة في الدنيا أن تحول بينه وبين اتمامها ، فقلت له ان الرسم ليس كل شيء في الدنيا فقاطعني قائلا انه ، بالنسبة اليه ، يعتبر كل شيء . فذكرت له أن كارولين تتعذب كثيرا بسبب نزواته وشذوذ تصرفاته وكثرة علاقاته مع النساء ، وان هذا لايليق برجل يحترم نفسه ،

فقال لى انه يعرف هذه الحقيقة ، وانه جد آسفه ، وانه يعرف أن زوجته تتعذب فى حياتها معه ، وانها ، بالنسبة اليه ، ملاك كريم ، ولكنه كان قد حذرها قبل الزواج بانه عاطفى ، و «زير نساء» وبوهيمى المزاج . فقلت له ، مهما يكن الامر ، فلا ينبغى ان يحطم حياته الزوجية حرصا على مستقبل طفلتهما ــ على الاقل ــ وكذلك بينت له بوضوح أن الزا فتاة طائشة ، وانه لا يجب الاعتماد على عواطفها فى مثل هذه السن ، ومن المحتمل جدا ان يندم كل منهما بعد الزواج ، وأن من الخير كل الخير ان يقطع علاقته بها ، ويعود الى زوجته وطفلته

ــ وماذا قال ؟

ــ نظر الى فى اضطراب وارتباك ، ثم ربت كتفى وقال : «انك صديق طيب يا ميرديث ، ولكنك عاطفى أكثر مما ينبغى . انتظر حتى أفرغ من الصورة وسوف ترى أننى على حق »

وتنهد ميرديث ثم أردف قائلا :

ــ لقد كنا جميعا نشعر بالاسى والالم فى ذلك الحين

ــ الا أمياس كريل ؟

ــ نعم . لانه كان انسانا لاتهمه غير مصالحه الخاصة . واذكر بوضوح أنه اختتم حديثه معى بقوله : « اطمئن يا ميرديث . فسوف ينتهى كل شىء على خير »

ــ ان هذا دليل على انه من الناس المتفائلين بطبيعتهم

ــ انه من اولئك الذين لا يهتمون كثيرا بمشاعر النساء ، وقد اردت ان أقول له ان كارولين فى حالة يأس ، وان المرأة حين تيأس تكون اشد خطرا من الوحش .. ولكنى كنت ادرك انه سيسخر منى لو حدثته بهذا

ــ وهل حدثتك كارولين بآلامها ؟

ــ حدثتنى تلميحا وفى كلمات قليلة ، ولكنى كنت ارى فى وجهها الشاحب وفى نظرات عينيها ، أمارات اليأس العميق . كانت تتحدث وتضحك أكثر مما ينبغى ، ولكن الحزن العميق كان يطل بوضوح من عينيها ، ويكاد يذيب أقسى القلوب وأغلظها . لشد ما كانت رقيقة وادعة

وبعد برهة من الصمت ، استطرد ميرديث فى حديثه وكأنما

فتحت ذاكرته ابواب الذكريات على مصاريعها ، فانشا يقول :

ـ كان ينبغي أن ارتاب في الامر . فقد كانت كارولين هي التي وجهت الحديث الى ... الى هوايتي في استخراج العقاقير من النباتات الطبيـــة ، وكانت النتيجة أني تحـــدثت الى الضيوف عن هـــذه الهواية ، وعن بعض الخرافات الخاصة التي تحتم على الهاوي أن يلتقط بعض الاعشاب الطبية في ضوء القمر ، ثم تحولت في حديثي الى نبـــات « الهملوك » المرقط Spotted Hemlock الذي يستخرج منه مخدر الكونين السام

ـ هل كان حديثك هذا في غرفة العمل ؟!

ـ نعم ، كنت اتحـــدث واشرح حديثي بالاشـــارة الى مختلف العقـــاقير والمركبات والمستخرجات ، واذكر اني حدثتهم عن عقـــار الفاليريان Valerian الذي تجذب رائحته القطط ، وتحدثت اليهم عن طريقة استخراج البلادونا والاتروبين ... وقد بدأ الاهتمام على وجوههم جميعا أثناء حديثي

ـ جميعا ؟

ـ نعم ... جميعا : فيليب ، وأمياس ، وكارولين ، وانجيـــلا ، والزا جرير ..

ـ الم يكن هناك أحد آخر ؟! كالمربية مس ويليامز مثلا ؟

ـ لا ، لم تكن مس ويليـــامز معنا . انها مربيـــة تعرف كيف تؤدي واجباتها . وأعتقد أن انجيلا كانت تثير قلقها كثيرا

ـ لماذا ؟

ـ لأنها كانت مشغوفة بالعبث وتدبير « المقالب » ، والتمادي في المداعبة الثقيلة ، فقد وضعت ذات يوم خنفساء في قفا أمياس وهو منهمك في رسم لوحة هامة . واذكر أنه ثار وأرعد وقرر أن يلحقها بالمدرسة

ـ يلحقها بالمدرسة !

ـ لا لأنه كان يكرهها ، وانمـــا لأنهـــا كانت تميـــل الى الشغب والاثارة . واعتقد أنه أيضا كان يغار منها ومن مكانتها الرفيعة في قلب كارولين ، زوجته . وكانت كارولين شـــديدة الحب والعطف على أختها لأن ...

فقاطعه بوارو قائلا :

ــ لأنها كانت السبب فى تشويه جانب وجه الفتاة . فأرادت ان تعوضها بالحب والحنان ؟

ــ آه .. اتعرف هذا ؟ حسنا . لقد كانت كارولين تشعر دائما بوخز الضمير لهذا السبب

ــ وهل كانت انجيلا حاقدة على أختها ؟

ــ لا لا ، مطلقا ، بل كانت تبادلها الحب والحنان دون أن تشير من قريب أو بعيد الى هذا الموضوع

ــ وهل كانت انجيلا راضية بفكرة الذهاب الى المدرسة

ــ لا ، بل ثارت فى وجه امياس وارادت أن تتحداه ، ووقفت أختها بجانبها ، ولكن أمياس كان من الرجال الذين اذا قرروا أمرا فلن يرجعوا عنه أبدا . وهكذا لم يكن على انجيلا الا أن تخضع فى النهاية لقراره

ــ ومتى تقرر الحاقها بالمدرسة ؟

ــ فى ذلك الخريف الذى وقعت فيه المأساة . فأنا أذكر أنهم كانوا يعدون حاجياتها ولوازم المدرسة، ولولا وقوع المأساة ، لذهبت اليها بعد أيام معدودة . فقد سمعت حديثا فى الصباح عن ترحيلها بعد اعداد حقائبها

ــ وماذا كان رأى المربية المس ويليامز ؟ ألا يعنى الحاق انجيلا بالمدرسة ، تعطلها هى عن العمل !

ــ نعم . ولكن هل يعقل أن تلجأ سيدة محترمة فاضلة الاخلاق مثل مس ويليامز الى ارتكاب جريمة قتل حتى لاتتعطل عن العمل ؟

ــ غير معقول طبعا ، وان كان بعض الناس يرتكبون أبشع الجرائم لأتفه الاسباب . حسنا يا مستر بليك ، وماذا كان رأى الزا فى الموضوع كله ؟ ألم تشعر يوما بتأنيب الضمير وهى تعمل على تحطيم أسرة والزواج من رجل بعد أن تحرم منه زوجته وابنته !

ــ لا . أبدا . لقد تحدثت معها طويلا فى هذا الشأن ، فضحكت وقالت ان الانسان يجب أن يبحث عن السعادة فى الحياة وما دامت الحياة الزوجية بين كريل وزوجته قد أصبحت سلسلة

من المشاجرات والمنازعات ، فليس هناك افضل من ان يتحرر كل منهما من الآخر ، ورغم أني لم أقتنع طبعا بمنطقها ، فاني لم أستطع ان أقنعها بمغبة هذه المغامرة التي توشك على ركوبها بالزواج من رجل يكبرها بعشرين عاما

وبعد برهة صمت ، قال بوارو :

ـ الا لا زلت يا مستربليك هاويا لاستخراج العقاقير من الاعشاب الطبية ؟

ـ لا لا لا ٠ لقد نفضت يدي تماما من هذه الهواية بعد المأساة فأنا حتى اليوم لا زلت أشعر بأني لا أخلو من المسئولية غير المباشرة فيما حدث

ـ هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين التي بقيت في معملك ؟

ـ نعم ، بصمات أصابع كارولين فقط

ـ وأصابعك أنت ؟

ـ لا ، لم أمسك الزجاجة بيدي ، وانما أشرت اليها فقط أثناء حديثي . ولا شك ان آثار بصماتي القديمة عليها زالت بسبب استعمال المنفضة يوميا لازالة الغبار عن الزجاجات ، وبهذه المناسبة كنت انا الذي انظف الزجاجات . لم أكن أسمح للخدم بدخول المعمل ٠ كنت أحرص دائما على غلق بابه بالمفتاح

ـ ومتى اختلست كارولين كمية الكونين ؟

ـ ونحن في طريق الخروج من المعمل ، فقد كانت هي آخر من خرج ، وقد وقفت أنا بالباب أتحدث قليلا مع الزا جرير ، ثم ناديت على كارولين حين رأيت انها تأخرت في الخروج ، فجاءت مضطربة متوهجة الوجنتين ، متألقة العينين . يا الهي ! اني أكاد اراها الآن

ـ هل دارت بينك وبين كارولين محادثة بعد ظهر ذلك اليوم ، اعني محادثة بشأن الموقف الذي كان بينها وبين زوجها

ـ نعم ، ولكن في كلمات قليلة . عندما رأيتها مضطربة النفس ، قلت لها : « هل حدث شيء ياكارولين ؟ »

فقالت : « حدث كل شيء ، بل يمكنك أن تقول لقد انتهى كل شيء ٠ لقد انتهيت أنا يا ميرديث » ثم أرسلت ضحكة عصبية ،

وتحولت نحو الآخرين فى ابتهاج مصطنع

وصمتت ميرديث برهة ، قبل أن يستطرد قائلا :

ـ أؤكد لك يا مسيو بوارو أن كارولين كانت صادقة حين اعترفت اثناء المحاكمة بانها اختلست كمية الكونين لتنتحر بهـا . نعم ، انها لم تفكر فى قتل زوجها الا فى اليوم التالى

ـ هل أنت واثق تماما أن كارولين هى القاتلة ؟

ـ اذا لم تكن هى ، فمن يكون ؟ أم لعلك تمنى أن الحادث وقع قضاء وقدرا ؟

ـ ربما

ـ هذا عجيب جدا

ـ لماذا ؟ الم تقل انت، ان كارولين كانت دائما سيدة رقيقة لطيفة ، اى ملاك بالقياس الى زوجها ؟

ـ نعم

ـ فهل يمكن لمثل هذه السيدة ان ترتكب جريمة قتل عمـد مع سبق الاصرار ؟

ـ كان لكارولين ، رغم رقتها ولطفها ، لسان حاد لاذع تلهب به زوجها احيانا عندما يتمادى فى سوء سلوكه ، وكانت أحيانا تقول له : « اننى أكرهك ، لشد ما اتمنى ان اقتلك وامزق جسمك بيدى » او شيئا من هذا القبيـل . واعتقـد أن تصرفات كريل الاخـيرة وتحديه السافر لها قد افقدها الصواب ، وجعلها تقدم على ارتكاب هذه الجريمة . ان التى ارتكبت هذه الجريمة ليست كارولين العاقلة اللطيفة ، وانما كارولين التى فقدت عقلها

ـ اذن فانت لا توافق على نظرية انتحار كريل ؟

ـ لا لا . ان كريل كان آخر انسان فى الدنيا يفكر ـ مجرد تفكير ـ فى الانتحار

ـ كانك فى هذه الحالة جد واثق من ادانة كارولين

ـ أعود فاقول اذا لم تكن هى ، فمن يكون ؟

ـ أليس هناك احتمال ـ مجرد احتمال بسيط ـ فى أن يكون القاتل شخصا آخر غيرها ؟

ــ انه احتمال مستبعد ، بل مستحيل . لقد كان فيليب من اخلص أصدقائه ، وليس هناك ادنى سبب لارتكاب مثل هذه الجريمة .. وأنا ! هل أبدو في نظرك قاتلا ؟ حسنا - والزا هل يعقل أن تقتل الشخص الذى كانت تحبه بكل ذرة من كيانها .. المعقول ان تقتل كارولين ، وكذلك لا يعقل ان ترتكب صبية مثل انجيلا جريمة قتل. وليس هناك ادنى سبب يدفع مربية محترمة مثل المس وليامز الى ارتكاب هذه الجريمة . وكذلك الخدم لم يكن لهم أى دخل فى الموضوع كله

فقال بوارو بعد برهة صمت :

ــ هل يمكن يا مستر بليك أن تتكرم وتكتب كل ماتعرفه أوتذكره عن هذه المأساة ، لقد وافق شقيقك المستر فيليب على كتابة ذكرياته بخصوص هذا الموضوع

ــ فيليب ؟ هل تحدثت معه فى هذا الشأن ؟

ــ نعم

ــ لا شك فى انك لاحظت مبلغ تحامله على كارولين

ــ لقد أدهشنى هذا التحامل فعلا

ــ لقد كان معاديا لها دائما

ــ لماذا ؟

ــ لا ادرى ، كان شديد السخط عليها بمناسبة وبغير مناسبة . واعتقد انه كان شديد الاستياء يوم تزوجت كريل ، بل انه امتنع عن الذهاب اليهما عقب الزواج عاما كاملا ، ومع ذلك فقد ظل امياس اخلص أصدقائه . واعتقد ان هذا هو السبب . فقد كان يعتقد ان امياس اعظم شأنا منها ، وكان يخشى أن زواجه بها سيفسد صداقتهما الرائعة

ــ وهل هذا ما حدث ؟ !

ــ لا ، فقد ظل امياس شديد الوفاء لفيليب الى آخر لحظة

ــ وماذا كان شعور أخيك بشأن موضوع الزا جرير ؟

ــ كان متناقض الشعور عن هذا الموضوع . كان ساخطا على امياس لتعلقه بفتاة تصغره بعشرين عاما ، وكان فى الوقت نفسه

يشعر بالسرور الخفى لان كارولين سوف تنفصل فى النهاية عن صديقه الوقى

فرفع بوارو حاجبيه فى دهشة وقال :

ـ احقا ؟

ـ هذا هو شعورى الخاص وان كنت غير واثق تماما

ـ وماذا كانت حالته بعد المأساة ؟

ـ كان شديد الحزن الى حد الانهيار . لقد كان فيليب يحب امياس اشد الحب بل كان يراه مثلا اعلى . ولعل هذا هو الذى جعله يزداد كرها لكارولين وسخطا عليها

وبعد برهة صمت . قال ميرديث فجأة :

ـ لقد انتهى كل شىء ، فلماذا كل هذا الحديث من الماضى وذكرياته المؤلمة ؟

ـ هذا هو ما ارادته كارولين كريل

ـ كارولين ؟ ! ماذا تعنى ؟

ـ لقد تركت لابنتها كارلا خطابا قصيرا ، وطلبت من المسئولين الا يسلموه لها الا بعد بلوغها الحادية والعشرين ، فهل تعرف ماذا كتبت فى هذا الخطاب ؟

ـ لا . . . طبعا

ـ اقسمت فيه لابنتها ، وهى على فراش الموت ، انها بريئة !

ـ هل . . . أقسمت كارولين . . . على هذا ؟

ـ نعم ، هل ادهشك هذا ؟

ـ جدا ، لو انك رأيتها اثناء المحاكمة ، لما خالجك ادنى شك فى ارتكابها للجريمة . فقد كانت شاحبة ، متهالكة ، مستسلمة لهجمات ممثلى الاتهام ، معترفة بكل شىء تقريبا فيما عدا ارتكابها للجريمة ، أى فيما عدا وضعها السم فى الشراب لزوجها . لقد بدت لى يومذاك الانموذج الكامل للزوجة التى قتلت ـ فى ساعة يأس ـ زوجها الحبيب ، ثم ندمت ، وقررت ان تلحق به . . أما الآن

ـ أما الآن ؟

ـ بعد أن اقسمت فى خطابها لابنتها على براءتها ، فقد بدأت اشك

بل بدات اعتقد انها بريئة حقا ، فانا اعرف تماما ان كارولين كانت من الاشخاص القليلين جدا الذين لا يعمــدون الى الكذب لاى سبب ، ولكن ...

وصمت ميرديث برهة ، وراح ينظــر فى ذهــول الى بوارو ثم قال :

ــ نعم ، ولكن اذا لم تكن هى ، فمن يكون ! اننى شخصيا لا ارى اى احتمال آخر

ثم أردف قائلا فى حدة لبوارو :

ــ وانت ... ما رايك ؟

ــ أنا لا راى لى · اننى الآن أجمــع الحقــائق فقط · اننى أريد ان اعرف كيف كانت كارولين ، واميــاس ، والاشــخاص الذين شهدوا المأساة . اريد ان اظفر من كل واحــد من هؤلاء الاشــخاص برايه الخاص ، وبشعوره ، وبرد الفعــل الذى تركتــه المأســـاة فى نفســه ، وبذكرياته الخاصة عنها .. ومن هذا كله أستطيع أن اصل فى النهاية الى الحقيقة

فقال ميرديث متحمسا :

ــ هذه فكرة صائبة . وانا متفــق معــك . ومن حسن الحظ انى احتفظ بمفكراتى القديمة ، ويمكننى ان أكتب لك ، اذا شئت ،تقريرا كاملا عما حدث فى ذلك اليوم ، وفى اليــوم السابق عليــه . ولـــكن اسلوبى فى الكتابة ليس كما ينبغى

ــ أوه ... اننى أريد الحقائق فقط ، اما الاســلوب فــلا يهم . وبهذه المناسبة اعتقد أن قصر الدربرى قريب من هنا . فهل يمكن ان اذهب اليه وارى هذا المسرح الذى جرت عليه احداث المأساة ؟

ــ ممكن جدا ، ولكن كثيرا من التغييرات ادخلت عليه

ــ هل هدم واقيم من جديد ؟

ــ لا · اشترته احدى الجمعيات ، وجعلت منــه مصيفا للشباب ، وملأت الغرف بالفواصل والحواجز لتكون مقصورات صغيرة للنوم

ــ ومن الذى باعه ؟

ــ الوصى على كارلا ، باعه وضم ثمنه الى أموالها التى ورثتها عن أبويها

ـ ألم ترث انجيلا شيئا ؟

ــ لا ، مطلقــا ، ولـكنها كانت وارثة عن أبيهــا ثروة صــــغيرة

ــ آه . فهمت . حسـنا . يمكنك يامستر بليك ان تبــين لى الاماكن التى تناولها التغيير

ــ نعم . . . نعم . ومن حسن الحظ ان الممرات وحديقة البحـر لا تزال كما هى

وفيما هما يسيران ، قال بوارو حين راى البحر امامه :

ــ الى اين نمضى ؟ !

ــ اننا نمضى الى خليج ضيق يمتد من البحر الى داخل اليابسة ، وهذا الخليج يفصل بين ضيعتى وضـيعة آلدربرى . ونحـــن سنعبره الآن بالزورق فى خمس دقائق ، أما اذا سرنا حول نهـــاية الخليج ، فاننا نصل بعد ساعة ونصف ساعة

ولما عبرا الخليج بزورق خاص ، أردف ميرديث قائلا :

ــ هذا هو الطريق الذى كنا نتبعه منذ القدم الا اذا قامت عاصفة شديدة ، ففى هذه الحالة نستخدم الطريق البرى

وفى الجانب الآخر من الخليج ، شاهد بوارو مجموعة من «الكابينات» المشيدة بالاسمنت ، والمخصصة للسباحة ، وقد أشار اليها ميرديث قائلا :

ــ هذه كلها منشآت جديدة لم يكن لها وجود من قبل

وفيما هما يسيران صعدا فى ممر متعرج تحف به الاشجار ، أردف ميرديث قائلا :

ــ من المحتمل الا نلتقى بأحــد هنا ، فاننا الان فى شهر ابريل ، ولم يبدأ موسم الاصطياف بعــد . وحتى اذا التقينا بأحــد ، فــلا خوف ، لانى على علاقة طيبة بجميع جيرانى

ولما بدأ الممر يدور حول سور حجرى ، أشـــار ميرديث اليــه وقال :

ــ هــذا هو سور حديقة البحــر . ونحن نسير حــوله الآن فى الطريق الصاعد الى القصر

وسارا مرة أخرى فى منعطفات الممر المحفوف بالاشجار حتى وصلا الى باب حديقة البحر . وكان من الممكن ان يتجاوزاه ويواصـــلا

لسير في الممر الى القصر ، ولكن ميرديث فتح الباب ، ودخـــل مع وارو الى حديقة مشمسة ، ساطعة الضوء ، تقـــوم على هضـبة تشرف على مياه البحر ، وكانت بها بعض الاشجار القليلة وأحواض لزهور . وقد قال بوارو وهو يمسحها بنظراته :

ــ مكان شاعري جميل

واشار ميرديث الى جوسق خشبي متهدم وقال :

ــ هنا كان امياس يحتفظ بأدوات الرسم وبعض زجاجات البيرة والاقداح . وكان ثمة مقعد مستطيل ، ومنضدة وحامل للرســم . ولا شيء غير هذا

ــ وهناك . . . مات امياس ؟ !

ــ نعم . على المقعــد المستطيل الذي كان موضوعا بالقــرب من جوسق أدوات الرسم . وكان من عادته أن يرقــد فوق المقعـــد على وجهه ساعة أو اكثر او اقل ، يفكر ، ويتأمل ، أو ربما يستوحي آلهـــة الفن ، ثم يقفز واقفـــا ويعمل بفرشاته كالمجنون في اللـــوحة . وهكذا . . .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا :

ــ هذا هو السبب الذي جعله يبدو في نظري طبيعيا حين غادرت هـــذه الحديقة مع الزا الى طعام الغداء . لقد كنت جالسا في ذلك المكان المرتفع الذي تراه يشرف على الحديقة من ناحيـــة القصر . فلما دق جرس الغداء ، نهضت ، وهبطت ، وكانت الزا أســبق مني الى الباب ، وكان امياس متهالكا على المقعد يستريح ، وقد علمت من الزا أنه ســيتم ليتم اللمسات الاخيرة من اللوحة . وكان هو ينظر الينا نظرات غريبة لم أفهم معناها في تلك اللحظات . ولـــكن لم يكن ثمة امارات للالم على وجهه . حمـــدا لله ، وانمــــا كان . دون أن ندري ، في حالة شلل

ــ ومن الذي اكتشف وفاته ؟

ــ كارولين . . . الزا وأنا كنا آخر من رآه حيا . على كل حال سوف اكتب لك تفاصيل ماحدث بدقة

ــ الرجلان صعودهما في الممر المتعرج حتى وصلا الى هضبة اخرى صغيرة تشرف على حديقة السطح وتظللها الاشجار ،

وقد قال ميرديث انها المكان الذى كان جالسا فيه ينظر الى أميـــاس وهو مشغول برسم لوحة الزا

وبعد أن وصلا الى القصر وطافا بحجراته ، ووقفا برهة فى شرفته الكبيرة ، عادا الى شاطىء الخليج عن طريق ممر آخر ، أطول ، حتى اذا بلغا ضيعة هاندكروس مرة أخرى ، قال ميرديث وهو يدخـــل ردهة بيته مع بوارو !

ــ لقــد اشتريت تلك اللوحة طبعا . اللــوحة التى مات أميــاس وهو يرسم اللمسات الاخيرة فيها . لم أشا أن اجعلهــا تقــع فى أيدى جماعة من الغلاظ الحمقى الذين لن يروا فيها الا فتــاة جميلة فى سراويل قصيرة تكشف عن ساقيها وأعلى فخذيها ، وجزء كبــير من صدرها . فهل تحب أن تراها ؟

فلما أومأ بوارو برأسه ، مضى ميرديث به الى غـــرفة أدرك بوارو من النظرة الاولى أنها غرفة المعمل القــديم . فقــد كانت زاخـــرة بالارفف والزجاجات القديمة الفارغة ، ومنضـــدة فى الوسط . ولما فتح ميرديث نافذتهــا ، انســـاب اليها الضوء مع عطر نســـائم الربيع

ووقف بوارو يستنشق رائحة أزهار الياســمين ، بينمــا قال ميرديث :

ــ هنا بالقــرب من هــذه النافذة كنت واقفا . يا الذكريات . . . كما اقف الآن أشم عطر الياسمين . وكنت أحدثهم ــ بحمــاقة ــ عن مفعول مختلف العقاقير التى استخرجها من النباتات الطبية

ثم تحــرك ميرديث الى الجدار المواجه للنافذة ، ورفع غطاء زاخرا بالغبار من فوق لوحة فنية ، واذا بوارو ينظر فى دهشة واعجاب الى صورة زيتية لفتاة جميلة فى قميص مفتوح أصفر اللون ، وبنطلون قصير أزرق اللون ، جالســة على سياج حجرى من الحجارة القاتمة ، ومن ورائها الافق الازرق البعيد

ورغم ألوان الصورة الصارخة ، المتنافرة ، فقد أحس بوارو أنه أمام عمل فنى ينم عن عبقرية خاصة وموهبة أصــيلة . عمل يكاد ينبض بالحياة والشباب ، وبالحيوية ، أما عيناها ! فان بوارو شــعر برعدة تسرى فى جسمه وهو يتأمل وجه الفتاة المفعم بالجاذبية والفتنــــة والتوثب



ورفع ميرديث غطاء زاخرا بالغبـار من فوق لوحة فنيـة ، واذا بوارو
ينظر فى دهشة واعجاب الى صـورة زيتية لفتـاة جميـلة . . .

وقال بوارو وهو يشير بيده الى اللوحة :

ــ انها ، حقا ، عمل فنى عظيم ... عظيم جدا

وقال ميرديث بانفاس لاهثة :

ــ ولشد ما كانت متوثبة بالشباب والجمال !

ــ نعم بالشباب ... الشباب الذى اجتمعت الآراء على أنه ... الشباب القوى الطائش ، القاسى ، العنيف

وفيما هو يغادر الغرفة مع ميرديث ، توقف برهة ، واستدار الى الصورة ، ورأى العينين تحدقان النظر فيه ، وشاهد فى نظرات العينين شيئا عجيبا ، مثيرا . وفهم بوارو هذا الشيء ، ولكن ترى كيف يكون الحال لو انه اخطأ الفهم ؟ فهل ستصارحه صاحبة العينين ، وهى لم تزل على قيد الحياة ، وفى أوج الانوثة ، بكل شيء ! !

أم أن المراة الحقيقية لا تعرف معنى النظرات التى كانت منبعثة من عينيها اثناء التصوير ؟ انها نظرات فتاة أحبت ... أحبت بكل كيانها ... بكل قطرة فى دمائها ... بكل خلجة من اعماق نفسها ، وانتعشت بالانتصار فى الحب ، ورات الدنيا كلها مختزلة فى وجه الحبيب ، ثم جاء الموت ، واختطف منها الحب ، والامل ، والسعادة ، واطفأ ذلك النور المقدس من العينين ، وحل محله ، بالهول !

ترى ما شكل عينى الزا جرير الآن ؟

وغادر بوارو الغرفة ، بعد ان القى نظرة اخيرة

وقال لنفسه :

ــ لقد كانت متوثبة بالحياة الى حد ... التحفز

ومرة أخرى سرت فى جسده رعدة خفيفة

الفصل الخامس

ذات العينين الحزينين

كان كل شيء في قصر الورد ديتشسام ينم عن الثراء والترف ، بل ينم عن الرغبة في اقتناء الافضل والاثمن . وهناك ، في احدى قاعات الاستقبال الفاخرة ، وقف بوارو أمام الليدي ديتشسام ، بعد ان اذنت له بالمقابلة ، حيث كانت بدورها واقفة بجانب مدفأة فاخرة

وكانت أول عبارة وردت بذهن بوارو ، وهو يرى الليدى ديتشسام ، أى الزا جرير ، هي : « لقد ماتت في شبابها ! »

لقد خامره الشك ، برهة ، في أن هذه السيدة ، هي نفسها الزا جرير ، التى شاهد صورتها في غرفة معمل المستر ميرديث بليك .. لقد كانت الصورة لفتاة تنبض بالحيوية والشباب الفائر الثائر .. أما هنا ، أما هذه السيدة ، فليس فيها من امارات الشباب شيء . نعم ان الجمال موجود ، وموفور ، وناضج ، ولكن الشباب ، الحيوية ، البهجة ، الحماس ، اللهفة الشوق الى المجهول . الامل في الغد ، كل هذا لم يكن موجودا

ان بوارو يذكر في تلك اللحظة مأساة روميو وجولييت ، لقد ماتت جولييت لانها لم تطق البقاء بعد روميو ، أما الزا ، فانها بقيت على قيد الحياة ... ميتة !

وكانت هي تتحدث بصوت رتيب رنان :

ـ تفضل بالجلوس يا مسيو بوارو،وثق انني مهتمة بالموضوع الذى أجله جئت

وقال هو لنفسه :

« لا ... انك كاذبة ، ان كل شيء ينم على أنك لم تعودي تهتمين بشيء ... اى شيء »

وبصوت مرتفع قال :

ــ انني يا سيدتي مرتبك ، مرتبك جدا !

ــ لماذا ؟

ــ لاني أدرك ان الحديث عن الماضي ، عن هذه المأساة بالذات ،مؤلم لك

فابتسمت وقالت :

ــ هذا لانك تعتقد انني سيدة مرهفة المشاعر ، والواقع انني ابعد الناس عن المشاعر المرهفة . انني امراة واقعيـــة ، لا مجـال للخيال فى حياتي . لقـد كان ابى كما تعلم صـبى طحان ، وظـل يجـاهد فى الحياة حتى نجح وكون ثروة طـائلة . والرجل العصامى ، عادة ، لا يعرف شيئا أسمه الاحساسات المرهفة

وقال بوارو لنفسه :

« نعم ، صـدقت فلو كنت مرهفة المشاعر ، لمـا جرؤت على الذهاب الى قصر كريل والحياة مع زوجته تحت سقف واحد »

وعادت هي تقول :

ــ ماذا تريد أن تعرف مني ؟

ــ هل انت واثقة يا سيدتي أن الحديث عن هـذا الموضـوع لا يؤلمك ؟

وترددت برهة . وأدرك بوارو فجأة ، ان هـذه السيدة الجالسة معه ، صريحة بطبيعتها ولكنها قد تلجأ الى الكذب للضرورة واخيرا قالت :

ــ ان هذا الموضوع ، أعني الحديث عنه ، لا يؤلمنى ، واني اتمنى لو انه يثير المى

ــ لماذا ؟

ــ لان من قسوة الحيـاة أن يعيش الانسان بدون مشاعر او احساسات

وعاد بوارو يؤكد لنفسه قائلا :

« نعم ان الزا جرير قد ماتت »

وقال بصوت واضح :

ـــ على كل حال ان موقفك هذا ييسر مهمتي ، فشكرا

ـــ ماذا تريد ان تعرف !

ـــ اتتمتعين بذاكرة قوية يا سيدتي ؟

ـــ نعم

ـــ وواثقة تماما أن الحديث عن هذه المأساة لا يثير اشجانك وآلامك ؟

ـــ اؤكد لك انني ، حتى أثناء المحاكمة ، لم اكن اشعر بالالم ، بل على العكس ، لقد استمتعت بها برغم سخط الجماهير على . لقد كان محامي الدفاع قاسيا على ، ولكنى عرفت كيف أحاربه وانتصر عليه . نعم كانت أيام المحاكمة كلها مثيرة رائعة ، ولشد ما تمنيت لو أنها انتهت بصدور حكم الاعدام على كارولين

وتظر بوارو الى يدى الزا ديتشام . يدان جميلتان ... ولكن بأظافر طويلة معقوفة كالمخالب !

وعادت هي تقول :

ـــ لعلك تظن انني امراة قاسية لا ارحم . نعم هذه هي الحقيقة . انني لا اشعر بالرحمة لمن يسيء الى . ولقد أساءت تلك المرأة الى اساءة لا تغتفر ، اساءة حطمت حياتي كلها ، كانت تعلم أن امياس يحبني ، وانا احبه بكل ذرة من كياني ، واننا سنتزوج حالما يتم طلاقه منها . ومع ذلك قتلته حتى لا اسعد بالحياة معه

وشردت نظراتها وهي تردف قائلة :

ـــ فهل هناك اساءة أشد من هذه !

ـــ ألم تحاولي أن تلتمسي لها العذر ؟

ـــ لا ، مطلقا . انني كما ذكرت امرأة واقعية ، اذا خسر الانسان المباراة ، فيجب أن يعترف بالهزيمة . واذا عجزت المرأة عن الاحتفاظ بزوجها ، فيجب أن تفرج عنه وتطلق سراحه . انني لا افهم معنى احتفاظ امرأة بزوج لا يريد الحياة معها

ـــ لعلك كنت تفهمين هذا المعنى لو تزوجت به ؟

ـــ لا اظن ... اننا لم تكن ...

ثم توقفت فجأة عن الحديث ، وابتسمت . وشعر بوارو بشيء من الخوف وهو يرى هذه الابتسامة الغامضة على شفتيها ، ولكنها اردفت قائلة :

ــ احب اولا ان ابين لك بوضوح ان امياس كريل لم يقع فى حبائل جاذبية فتاة بريئة صغيرة معجبة به . انا التى أوقعت به فى حبائلى لقد التقيت به فى حفلة ، واحببته من اول نظرة ، وقررت ان اضع نفسى ، وثروتى ، واعيش بجانبه كالجارية

ــ رغم انه زوج ووالد ! !

ــ نعم ، ولم لا ؟ لقد كان شقيا فى حياته الزوجية ، فلماذالايسعد بالحياة معى ، ان للانسان فى هذه الدنيا حيـــاة واحدة فقط

ــ ولكن المعروف انه ، رغم كل شىء ، كان سعيدا مع زوجته !

ــ لا لا . كانا يتشاجران دائما ، وكانت هى تطلق عليـه لسانها السليط كل يوم تقريبا . كانت زوجة لعينة . لعنها الله

ونهضت الزا ديتشام واقفة ، واشعلت لفافة تبغ ، ثم قالت :

ــ قد اكون قاسية عليها ، ولكننى اعرب عن شعورى نحوها ، وعن كراهيتى لها وحقدى عليها

ــ لا شك انها كانت ماساة عنيفة .

ــ نعم . ماساة عنيفة ... قاسية... رهيبة... ماساة قتلتنى ، اماتتنى ... جعلت حياتى خواء ... خالية ... فارغة ..

ثم لوحت بيدها واردفت قائلة :

ــ اصبحت كسمكة ميتة ... محشوة للزينة !

ــ الى هذا الحد كان امياس كريل يهمك ؟

فاومات براسها ايماءة اكدت بها لبوارو ان امياس كان ، بالنسبة لها ، كل شىء فى الحياة ، ثم قالت :

ــ اننى يا مسيو بوارو امرأة عنيـدة منذ طفولتى ، وقد كان من الممكن ان اقتل نفسى بعد امياس ، ولـكننى لم افعـــل ، فان قتـل نفسى معناه الهزيمة امام الحياة . وانا لم اتعود الاعتراف بالهـزائم

ــ وبعد هذا ؟

ــ لا شىء . قررت ان اقاوم واتغلب على الصـــدمة واعيش . ولم يعد الامر بالنسبة الى الآن الا ذكرى ... مجرد ذكرى

وبعد برهة من الصمت اردفت قائلة :

ــ اننى لم اكن فى يوم ما منافقة ، او مرائيـــة ، وانمـــا اسير على المثل الاسبانى القـــائل : « خذ ما تريد وادفع الثمن ... هـكذا الحياة » . وانا افعل هذا . احاول ان اظفـر بكل ما اريد دون ان اخشى من دفع الثمن

ـــ ولكن فى الحياة اشياء كثيرة لاتباع !

ـــ نعم . ولهـــذا فأنا لا اقصد بكلمة « الثمن » المـال دائمـــا ، فان الثمن يتوقف على طبيعة الشىء الذى تريده

ـــ اننى أفهم ما تعنين ، ولكن ، مع هذا ، فان ثمة اشياء كثـيرة لا تباع بالمال أو بغير المال

ـــ كلام فارغ

وابتسم فى رفق ، بينما أردفت هى قائلة :

ـــ حدثنى عن هذا الكتاب الذى تنـوى شركة النشر اصـداره . ما الغرض منه ؟

ـــ اى غرض يمكن ان يكون أكثر من ربط احداث الماضى بمثيرات الحاضر ؟

ـــ ولكنك لست كاتبا ؟ !

ـــ لا . ولكنى خبير بالكشف عن الجرائم

ـــ هل تعنى انك مكلف بتحقيق هذه الجريمة ؟

ـــ مكلف بالوصول الى الحقيقة . . . أيا كانت

ـــ ممن ؟ !

ـــ من كارلا لامرشانته ؟

ـــ من هى ؟ !

ـــ انها ابنة كارولين واميـاس كريل

ـــ آه . . حقا . . كانت لهما طفلة صغيرة عند وقوع المأساة . . لاشك انها كبرت الآن

ـــ نعم . انهـــا الآن فى نحو الحادية والعشرين ، طـــويلة ، رشيقة ، رائعـــة الجمـــال . واعتقد انهـــا قوية الشخصية موفورة الشجاعة

ـــ اننى اتمنى أن اراها

ـــ ولكنها قد لا تريد أن تراك

ـــ لماذا ؟ آه . . . فهمت ، ولكن من المحتمل انهـــا لا تذكر شـــيئا مما حدث ، فانها لم تتجاوز يومـــذاك الخامسة أو السادسة من عمرها

ـــ انها تعرف أن أمها حوكمت بتهمة قتل ابيها

ــ ولا شك أنها تعتقد أنني السبب المباشر فى كل ما حدث

ــ محتمل ··· أو مرجح ···

فهزت الزا كتفيها وقالت :

ــ يا للحماقة ؟ ان كارولين فى الواقع هى السبب ، فلو أنها كانت واقعية في تصرفاتها لما ···

ــ اذن فانت لا تشعرين بأية مسئولية فيما حدث ؟

ــ لماذا أشعر ؟ ليس هناك ما يدعوني للخجل ·· مطلقا · لقد احببته ، وكنت أريد أن أسعده · انني لا أدرى كيف أجعلك تنظر الى الامر من زاويتي ، فلو أنك كنت تعلم حقيقة الجو المحيط بالمأساة ···

فانحنى بوارو فى لهفة وقال بسرعة :

ــ هذا ما أريد أن أعرفه ، فعلا ، وقد وعد المستر فيليب بليك بكتابة تقرير مفصل عن كل ما حدث ، وكذلك وعد المستر ميرديث بليك ، فاذا سمحت أنت ···

فتنفست بعمق وقالت باحتقار :

ــ ان هذين الاخوين كانا دائما أحمقين ·· كان فيليب يخفي غرامه بكارولين تحت ستار من الكراهية ، وكان ميرديث يتمنى رضاها ، ولكنه انسان طيب ، ساذج · أكبر ظنى أنك لن تظفر بشيء ذى بال من تقريرهما

وصمتت برهة قبل أن تقول فجأة :

ــ هل تريد الحقيقة ، الحقيقة لذاتها ، لا للنشر والاثارة ؟

ــ انني لن أنشر شيئا الا باذنك

ــ لشد ما أهفو الى كتابة الحقيقة ، نعم ··· الى شرح موقفي الحقيقي من هذه المأساة ·· الى افهام الناس أن الحب ليس خطيئة·· وليس ذنبا ·· وان من حق كل انسان أن يحب ·· وأن يتحرر من قيود الشقاء ·· وأن يبحث عن السعادة ·· نعم أريد أن أكشف للناس حقيقة تلك المرأة التى فضلت الموت لزوجها على اطلاق حريته

والتمعت عينا الزا فجأة ببريق غريب ، وأردفت قائلة :

ــ قتلته ·· قتلت أمياس ·· أمياس الذى كان يريد أن يعيش، وأن ينعم بالحياة ، لا ينبغى أن يكون الحقد أقوى من الحب فى هذه

الدنيا .. ولكن الحقد أعمى .. فعلا .. واني لأحقد عليهـا .. اكرهها .. اكرهها .. اكرهها ..!

ونهضت اليه ، وامسكت بكم سترته ، واستطردت تقول بصوت كالفحيح :

ــ ينبغي أن تفهم .. نعم ينبغي أن تدرك تماما كيف كان الحب بيننا ــ أنا واميلس ــ لسوف أطلعك على شيء

واستدارت بسرعة ، وفتحت درجا صغيرا ، وتناولت منه خطابا قدمته الى بوارو وهي تقول :

ــ اقرأ هذا .. اقرأ لكي تفهم مدى الحب الذى كان يربط بيننا

« الزا .. يا طفلتي المدهشة العجيبة التي ليس لها مثيـل في الدنيا .. انني خائف .. انني أكبر منك سنا .. رجل في منتصف العمر .. دموي المزاج .. متقلب الاهواء .. لا مبادىء له أو مثل عليا .. لا تثقي في .. لا تؤمني بي .. انني رجل شرير ، وان كنت فنانا نابغة .. ان أجمل وأعظم ما في نفسي ، أسكبه في فني فقط .. فلا تقولي يوما انني لم أحذرك

« حسنا يا حبيبتي .. انني ، برغم كـل شيء ، سأظفر بك .. انني على استعداد ، كما تعلمين ، لمحالفة الشيطان من أجلك ، ومن أجل رسم صورة لك تجعل عالم الفن يمسك جنبيه من فرط الدهشة والاعجاب .. انني مجنون بك .. انني لا أستطيع النوم ، ولا الطعام .. الزا .. الزا .. انني ملك يمينك الى آخر العمر . أمياس »

ورفع بوارو عينيـه ونظر الى الزا ، وبدت له في تلك اللحظة متوهجة الوجنتين ، وكأنما عادت الى الوراء ستة عشر عاما .. وكأنما لكلمات الخطاب رنين أجراس الحب في اذنيها ...

الفصل السادس

مس وليامز تتحدث

قالت مس ويليامز فى لهجة جادة حاسمة :

ــ هل استطيع أن أسألك يا مسيو بوارو لماذا ؟

وكان بوارو قد صعد بعد عناء الى الغرفة الوحيدة التى تقيم بها مس ويليامز ، وكانت غرفة تنم عن رقة الحال .. كانت مس ويليامز جالسة أمامه ، على أريكة قديمة ، بوجهها المغضن ، اذ كانت قد بلغت الستين من عمرها ، وكانت تردد :

ــ انك تريد ذكرياتى عن مأساة أمياس كريل وزوجته ، فهل لى أن أسأل لماذا ؟

وشعر بوارو أنه ، أمام هذه السيدة التى قضت حياتها فى تربية وتعليم الاطفال ، لا يستطيع أن يكذب ، وكأنما هو ، قد تحول فجأة، الى طفل أمام مربيته الحازمة . ومن ثم لم يسعه الا أن يذكر لها الحقيقة كاملة . وانصتت هى اليه فى اهتمام ، ثم قالت أخيرا :

ــ كيف حال هــذه الطفلة المسكينة الآن ؟ لا شك أنهــا كبرت واصبحت شابة !

ــ نعم ... وجميلة ، وقوية الشخصية،وشجاعة القلب.ويمكننى القول ، انها أيضا قوية الارادة ، وهى مصرة على أن تصل الى الحقيقة بأى ثمن !

ــ هل تتمتع بمزاج فنى كأبيها

ــ لا أظن

ــ حمدا لله .. اذن فهى أقرب الى أخلاق أمها من أبيها

ــ أعتقد هذا .. ويمكنك أن تتأكدى من هذه الحقيقة اذا رأيتها

ـ انني أحب أن أراها . فقد اعتقدت دائما أن أسعد برؤية الاطفال بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالا ونساء ٠٠٠

ـ من حسن حظها انها كانت طفلة صغيرة عند وقوع مأساة والديها ٠٠

ـ نعم ٠٠ مؤكد ٠٠ لو انها كانت أكبر ، لتركت الصدمة فى نفسها اثرا لا يمحوه الزمن ٠٠

ـ بهذه المناسبة يا مس ويليامز ٠٠ هل استطيع ان أعرف رأيك عن العلاقة الحقيقية التى كانت بين كارولين وابنتها الطفلة كارلا ٠٠ هل كانت بالنسبة لها أما مثالية ؟

فصمتت مس ويليامز برهة ثم قالت .

ـ نعم الى حد ما ٠٠ كانت تهتم بها ، وتُعنى بصحتها وتقوم على رعايتها كأحسن ما تكون الرعاية . ولكنها ، مع هذا ، كانت متفانية الى حد التضحية بالنفس فى حب زوجها أمياس ٠٠ لم أشهد فى حياتى زوجة أحبت زوجها بمثل هذه القوة والتفانى ٠٠٠ كانت تعيش فيه . وبه ، ومن اجله ٠٠ واعتقد أن هذا يفسر الدافع الذى جعلها تقضى عليه حتى لا تراه بين ذراعى امرأة أخرى

فقال بوارو فى دهشة :

ـ هل تعنين أنهما كانا أقرب الى عاشقين منهما الى زوجين ؟

ـ أعتقد هذا برغم المشاجرات التى كانت تقوم بينهما

ـ وهل كان مخلصا لها كاخلاصها له ؟

ـ نعم ٠٠ ولكنه اخلاص كاخلاص الرجال !

وصمتت برهة ، وأدرك بوارو من لهجة صوتها وهى تنطق بالكلمة الاخيرة مبلغ حقدها على الرجال عموما ، ومن ثم قال باسما فى رقة :

ـ يبدو أن لك رأيا خاصا فى الرجال ؟

فقالت بجفاء :

ـ ان الرجال هم الذين يحكمون هذا العالم ٠٠ وهم الذين يملأونه بالحروب والفساد والشر ٠٠ وأنا أرجو الا يدوم هذا طويلا

ونظر بوارو اليها برهة متأملا ، ثم قرر أن يخرج بها من النظرة العامة الى الخاصة نحو الرجال ، فقال :

ـ كأنك لم تكوني تحبين أمياس كريل ؟

ـ نعم .. لم أكن أميل اليـــه أو أرضى بتصرفاته . ولو كنت زوجته ، لما قبلت الحياة معه بأى ثمن ، فهناك أشياء لا يمكن للزوجة أن تحتملها

ـ ولكن مسز كريل كانت تحتملها

ـ نعم

ـ كأنك كنت تعتقدين أنها مخطئة فى هذا الاحتمال !

ـ نعم .. ينبغى على المرأة أن تحافظ على كرامتها ولا تخضـــع للاذلال المهين

ـ هل حدثت مسز كريل برأيك هذا أثناء اقامتك معها ؟

ـ طبعا لا .. ولمـاذا افعل ؟ لقد كنت مكلفة بالتدريس لانجيلا وارين ، لا لاسداء النصائح لهذا أو ذاك

ـ ولكنك كنت تحبينها !

ـ نعم .. أحبها أشد الحب .. ولشد ما حزنت عليها ولأجلها

ـ وتلميذتك ، انجيلا وارين ؟

ـ كانت فتاة عجيبة ، من أعجب الفتيات اللائى درست لهن : عقل ذكى ، وشقاوة ، وسرعة غضب ، وجموح .. ولكنها ، مع هـــذا ، كانت لطيفة خفيفة الظل

ثم صمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ وكنت أشعر دائما أنها ستنجح فى الحياة وتحرز شهرة واسعة ومركزا رفيعا ، وهذا ما حدث فعلا .. هل قرأت آخر مؤلفاتها عن الصحراء المصرية » ؟« وهل علمت أنهـــا هى التى اكتشفت بعض مقابر الملوك فى مديرية الفيوم بمصر ؟ اننى فى الواقع شديدة الفخر بها .. حقا اننى لم أبق معها فى آلدربرى غير عامين ، ولكنى أعتقد أنى استطعت توجيه عقلها وذهنها وآمالها فى هذا الطريق .. طريق الكشف عن الآثار والاهتمام بالتاريخ

فقال بوارو :

ـ لقد علمت أنه كان قد تقرر ارسالها الى المدرسة ، ولا شك أنك لم تكونى موافقة على مثل هذا القرار ؟

ـ لا .. لا .. بل بالعكس .. كنت من أشد المؤيدين لتنفيذه .

ولسوف أخبرك لماذا .. فقد كانت انجيلا ، حين بدأت التدريس لها في سن الثالثة عشرة .. وهي سن خطرة مضطربة في حيـاة الفتيات .. وقد زادت حالة الاضطراب في خـلال العامين اللذين أمضيتهما معهـا .. كانت ميالة بطبيعتها الى تدبير « المقـالب » والتمادى في العبث والمداعبة ، وكانت تنتابها حالات مفاجئة ، فهى حينا غاضبة ثائرة ، وهى حينا حزينة منقبضة النفس بضعة أيام ، ثم اذا هي تعود فتنطلق ، وتتسلق الاشجار ، وتجرى هنا وهناك في الحديقة الواسعة ، غير حافلة بأوامر أحد ، أو خاضعة لرغبات أحد !

وتوقفت مس ويليامز برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ ... وعندما تبلغ الفتاة مثل هذه المرحلة ، فان المدرسة خير علاج لها .. لاسيما اذا كانت البيئة المنزلية غير مناسبة لها .. فقد كانت مسز كارولين تسرف في تدليلها والدفاع عن أخطائهـا .. وكانت النتيجة أن اصبحت انجيلا ترى من حقها أن تكون لها الاولوية دائما في اهتمام أختها وعواطفها .. ورفض كريل بطبيعة الحال ، هذا الوضع .. فما من رجل يرضى أن تضعه زوجته في المكان الثاني بعد أختها .. وحدث الاحتكاك المنتظر بين كريل وانجيلا .. فكان يشتد في تعنيفها أحيانا ، وكانت ترد عليه العنف بأشد منه ، بل كانت تنتقم منه أحيانا بوسائل صبيانية ثقيلة ، كأن تضع الخنافس في فراشه أو ملابسه ، أو شيئا مرا في شرابه .. وكانت آخر دعابة ثقيلة أن وضعت عشر خنافس في فراشه ، وكان هو يشمئز من هذه الحشرة أشد الاشمئزاز .. وقد ثار بطبيعة الحال وأقسم أن يلحقها بمدرسة داخلية .. وثارت هي ، بدورها ، على هذا القرار .. ولكنني تعاونت مع أختها على اقناعها ، وهكذا تقرر أن تلتحق بمدرسـة هولتون .. وهي مدرسة جميلة تقع في الشاطئ الجنوبي .. ولكن انجيلا ، مع هذا ، ظلت ساخطة ، وكذلك شعرت كارولين بالحـزن لحرمانها من رعاية أختها .. ومما زاد الامر سوءا تلك الحـالة التى طرأت على العلاقة الزوجية بين مستر ومسز كريل

ـ أتقصدين ظهور الزا جرير على مسرح حياتهما !

ـ نعم

ـ ما رأيك فيها

ـ كانت فتاة جريئة وقحة ليس لها مبادئ سامية

ـ لقد كانت صغيرة ... طائشة ؟

ـ لا .. كانت في السن التي تجعلهــا تفهم وتدرك ما يضر وما ينفع ، انني لا ألتمس لها أى عذر

ـ ولكنه الحب يا مس ويليامز

ـ الحب ؟ هل يمكن للانسان أن يعتذر عن سوء سلوكه وشــذوذ تصرفاته بالحب ؟ وهل يليق بفتاة أن تحب رجــلا متزوجا .. وأن تقبل الحياة معه في بيت الزوجية ؟ وأن تتحدى زوجته علنا بقولها انها ستأخذ منها زوجها ؟ ان هذا ليس حبا .. وانما سوء تربية ..

ـ لا شك أن موت أمياس كريل كان صدمة رهيبة لها !

ـ نعم .. بكل تأكيد .. ولكنها هي المسئولة عن موته .. انني التمس العذر كل العذر لمسز كريل ، فأنا نفسي ، كنت أشعر أحيانا بالرغبة في قتل المستر كريل وحبيبته الوقحة .. انني لم أر في حياتي رجلا يتمادى في تحديه لشاعر زوجته المحبة له ، الى هــذا الحد .. ان الموت هو أقل جزاء لمثل هذا الرجل .. وقد نال أمياس جزاءه العادل

ـ كأنك تشعرين بقدسية العلاقة الزوجية ؟!

فنظرت اليه برهة ، ثم قالت بقوة :

ـ نعم .. ليس في الحياة ما هو أقدس من الرابطة الزوجية .. ان الاستهانة بها جريمة لا تغتفر لاسيما اذا كانت الزوجة متفانيــة ـ مثل كارولين ـ في حب زوجها .. وقد استهان كريل بقدســية الرابطة الزوجية الى حد لم يسبق له مثيل ..

ـ أنا معك في هذا .. ولكنه كان فنانا موهوبا ..

نعم .. نعم .. هذا هو العذر الوحيــد الذي كان أصــدقاؤه يحاولون به تبرير أعماله .. ولكنني شخصيا أعتقد أن الفن الاصيل يسمو بالفنان الى مراتب السمو والكمال والخلق الكريم ..

وبعد برهة من الصمت ، قال بوارو فجأة :

ـ لقد كنت مع مسز كريل عندما اكتشفت موت زوجها !

ـ نعم .. لقد غادرت معها القصر بعد طعام الغداء .. كانت هي في طريقها الى زوجها لترى اذا كان في حاجــة الى شيء ، وكنت أنا في طريقي الى الشاطيء لابحث عن صديرية صوف لانجيلا التي كانت

متعودة على اهمال بعض ملابسها الخارجية فى كل مكان ٠٠ وافترقنا عند باب حديقة البحر ٠٠ ولكنى ما أن سرت بضع خطوات حتى سمعت صيحة مسز كريل . فعدت اليها مسرعة ، حيث رأيت المستر كريل راقدا على المقعد المستطيل بجانب حامل الرسم ميتا ٠٠ ميتا منذ ساعة على الاقل

ــ هل كانت شديدة الاضطراب عند اكتشافها لموت زوجها ؟

ــ ماذا تعنى بهذا السؤال ؟

ــ اننى أريد أن أعرف شعورك الخاص عن هذا الموقف

ــ آه ٠٠ فهمت ٠٠ أعتقد أنها كانت فى حالة ذهول ٠٠ ولكنها طلبت منى أن أسرع لاستدعاء طبيب ٠٠ فنحن لم نكن طبعا ، واثقين تماما من موته ٠٠ أو ليس لنا الحق فى هذه الثقة ٠٠

ــ وهل ذهبت واستدعيت الطبيب تليفونيا ؟!

ــ لا ٠٠ وانما التقيت فى الممر بالمستر ميرديث بليك ، فكلفته بالقيام بهذه المهمة ، ثم أسرعت عائدة الى مسز كريل ٠٠ فقد خشيت أن تسقط مغشيا عليها ٠٠

ــ وهل وجدتها فى هذه الحالة فعلا ؟!

ــ لا ٠٠ كانت ثابتة ٠٠ هادئة تقريبا ٠٠ أثبت واهدأ بكثير من الزا جرير التى كانت ، حين بلغها النبأ ، فى حالة عصبية رهيبة حتى كادت أن تقتل كارولين لو أتيحت لها الفرصة

ــ هل معنى هذا أنها أدركت فورا أن كارولين هى قاتلة زوجها ؟

فكرت مس ويليامز برهة ثم قالت :

ــ لا أظن أنها كانت واثقة تماما أن كارولين سممت زوجها ، ولكنها ارتابت فى هذا فورا ، وكانت تصرخ فى عصبية رهيبة قائلة : « كل هذا بسبب تصرفاتك يا كارولين ، لقد قتلته ، والذنب كله عليك » ٠ ولكنها لم تقل بصريح العبارة : « لقد سممته »

ــ وماذا كان شعور مسز كريل ؟

ــ الواقع اننى لا أستطيع أن أحدد شعورها تماما فى تلك اللحظات ، هل كان الفزع الذى سيطر عليها أم الحزن أم الندم

ــ هل بدا عليها شىء من هذا ؟

ــ لا أدرى تماما ، أنها كانت أقرب الى الذهول منها الى أى شىء آخر

ـ حسنا .. وماذا كان رأيها فى مقتل زوجها ؟
ـ كانت تعتقد ، كما ذكرت باصرار فى المحاكمة ، أنه انتحر
ـ هل ذكرت لك هذا حين تحدثت معك على انفراد ؟
ـ نعم .. حاولت أن تقنعنى بأنه انتحر ..
ـ وماذا كان رأيك أنت ؟!
ـ هل من المهم أن تعرف رأيى يا مسيو بوارو ؟
ـ نعم اذا سمحت ..
ـ لقد حاولت ان أوافقها على هذا الرأى ..
ـ معنى هذا أنك لم تكونى موافقة مطلقا ..
ـ نعم .. لم أكن معتقدة أنه مات منتحرا .. ولكنى ، فى الوقت نفسه ، كنت أثناء المحاكمة ، فى جانب مسز كريل ضد الاتهام ..
ـ كنت تتمنين أن يحكم ببراءتها ؟
ـ نعم .. من صميم قلبى
ـ كانت مقدرة شعور ابنتها فى محاولتها البحث عن الحقيقة ؟
ـ نعم كل التقدير
ـ ألديك ـ اذن ـ مانع فى كتابة ذكرياتك عن المأســاة فى دقة وتفصيل بقدر الامكان !
ـ وهل ستقرأ كارلا هذا التقرير ..
ـ نعم بالتأكيد
ـ حسنا .. اننى لا أمانع .. ولكن..هل هى مصرة كل الاصرار على أن تصل الى حقيقة موقف أمها من هذه الجريمة ، مهما تكن مرارة هذه الحقيقة ؟
ـ نعم .. بلا شك ..!
ـ انى متفقة معك فى هذا .. فخير للانسان أن يستريح الى معرفة الحقيقة بدلا من محاولة خداع نفسه بالاوهام .. وأعتقد أن كارلا حين تعرف الحقيقة كلها سوف تنسى الموضوع كله على مر الايام ..
ـ ولكنها فى الوقت نفسه تأمل أن تثبت الحقيقة براءة أمها ..
ـ يا لها من مسكينة . ان الحقيقة ستثبت عكس ما ترجو وتأمل
ـ أواثقة أنت من ادانة مسز كريل الى هذا الحد ؟!
ـ نعم .. بالتأكيد

ـ وما رأيك اذا علمت أن مسز كريل تركت لابنتهاخطابا اقسمت فيه ، وهى على فراش الموت انها بريئة ؟

ـ لقد اخطأت جدا فى هذا القسم ان مسز كريل دائما شجاعة ، وصادقة ، وميالة للخير ٠٠ وكان الاجدر بها أن تعترف بحقيقةجرمها لابنتها ٠٠ فليس ينبغى أن يكون للعواطف مجال فى ساعة الموت٠٠

ـ اذن فانت واثقة تماما أنها كاذبة فى هذا القسم على براءتها ؟!

ـ كل الثقة ٠٠

ـ ومع ذلك تقولين انك وقفت بجانبها ضد الاتهـــام وانك كنت تحبينها ؟!

ـ نعم ٠٠ كنت أحبها ، ولكن هذا لا يمنع من القول بانى واثقة تماما من ادانة مسز كريل لانى رأيت بعينى ما يثبت الجريمة عليها، ولكنى لم أذكر هذا أثناء المحاكمة ، لان أحدا لم يسألنى فى هـــذه النقطة



الفصل السابع

انجيلا وارين

كان مسكن انجيلا وراين يشرف على حديقة ريجنت بارك الفاخرة ، وكان الهواء فى ذلك اليوم من ايام الربيع ينساب من النافذة الى جوانب المسكن ، رقيقا ناعما منعشا يثير فى النفس الشعور بجو الريف ، لولا ذلك الضجيج الرهيب لحركة المرور بالشارع

واستدار بوارو عن النافذة حين سمع وقع أقدام انجيلا فى الغرفة ولم تكن اول مرة يرى فيها انجيلا ، فقد سبق أن استمع الى محاضرة لها فى قاعة الجمعية الجغرافية ، وكان قد أعجب بها اعجابا لا حد له . كانت بارعة فى الالقاء ، رائعة فى التعبير ، ثابتة الاعصاب ، غزيرة العلم ، لا تتردد ، ولا تكرر نفسها ، ولا تعجز عن الاجابة الصحيحة عن كل سؤال خاص بالموضوع بعد انتهاء المحاضرة

ولم ير ، اثناء المحاضرة ، الجانب المشوه من وجهها . اما الآن وهو يراها عن كثب ، فقد لاحظ أثر الجرح العميق الممتد من طرف عينيها اليسرى الى نهاية خدها . ولم تكن العين مغلقة ، وانما كانت ، فى الظاهر ، تبدو سليمة رغم فقدانها قوة البصر تماما وقد خطر لبوارو ، وهو يرى انجيلا بقامتها الطويلة ، ووجهها الباسم ، وجبينها العريض المشع بالعلم والذكاء ، أنها الشخصية الوحيدة التى نجحت تماما فى الحياة من بين الشخصيات الخمسة التى شهدت المأساة . لقد نجح فيليب بليك حقا فى جمع المال . ولكن جمع المال لذاته لا يعتبر نجاحا فى الحياة ، أما ميرديث فقد ظل ، كما كان ، جامدا ، لا يتطور مع الزمن ، وكانما كان يعيش فى العصور الماضية . وبدأت الزا جرير حياتها بالجمال والشباب

والمال والحب ، وكان كل شيء يبشر بانها ستكون من أسعد الناس في الحياة ، فاذا بها ، عقب المأساة ، تغدو من أكثر الناس شقاء . نعم ، فليس هناك من هو أشقى من الانسان الميت الحي !

اما مس ويليامز ، فقد عاشت ، كمعظم الذين يحملون العلم والمعرفة الى عقول التلاميذ ، تعطى في الحياة ولا تاخذ . وقد أخذت منها الحياة كل شيء ، ولم تعطها شيئا

اما انجيلا ، فقد عرفت ، رغم تشوه جانب وجهها ، كيف تظفر بذكائها وشجاعتها وحبها للمغامرة من الحياة بكل شيء : بالمال ، والشهرة ، والمجد ، والسعادة

ولم يكن الثمن غير هذا الاثر المشوه لجانب وجهها

ولكنها كما بدت لبوارو في تلك اللحظة، لم تكن تشعر بهذا التشويه لطول ما الفته

وادرك بوارو ايضا ان انجيلا ليست من النوع الذي يحتاج معه الانسان الى اللف والدوران في الحديث ليصل الى غرضه ، ومن ثم تحدثمعها بصراحة عن زيارة كارلا لامرشانت له . وعندئذ اضاء وجه انجيلا بابتسامة عذبة ، وهي تقول :

ـ آه ، كارلا الصغيرة ؟ اهي هنا ؟ اود ان اراها . فما اشد شوقي اليها !

ـ الم يكن بينكما اتصال بريدي خلال هذه الاعوام الطوال ؟

ـ اتصال بسيط جدا . فقد كنت ، بعد المأساة ، في مدرسة داخلية خارج البلاد ، وكانت هي في كندا ، ولم نتبادل الا بعض الهدايا البسيطة في اعياد رأس السنة ، وكنت اعتقد انها ستبقى دائما في كندا ، فاني لا أجد أي سبب يدعوها الى العودة هنا

فقال بوارو :

ـ نعم . فقد كانت في جو جديد ، وفي بيئة جديدة ، وتحمل اسما جديدا . ولكن يبدو ان المسألة بالنسبة لها لم تكن في مثل هذه السهولة !

ثم راح يحدثها عن خطبة كارلا للشاب الذي يبادلها الحب ، وعن رغبتها في الوصول الى الحقيقة عن ماساة والديها ، وعن ايمانها العميق ببراءة أمها . وعندئذ قالت انجيلا بحماس :

ــ انني أتمنى لها من صميم قلبي أن تنجح في هـــذه المهمة . ويسرني أن اقدم في هذا السبيل كل مساعدة ممكنة

ــ اذن فانت تعتقدين ان هناك احتمالا في اثبات براءة مســــز كريل

ــ انني شخصيا اومن تماما ان كارولين لم ترتكب هذه الجريمة هذا هو رأيي منذ اللحظة الاولى

فغمغم بوارو قائلا :

ــ انك تدهشينني بهذا الاعتراف يامس وارين ، فان الجميــع يعتقدون غير هذا !

ــ ان لهم العذر ، فقد كانت الادلة كلها ضد اختي ، ولكني اعرف عن يقين أن كارولين لم يكن في مقدورها ان ترتكب اية جريمـــة قتل

ــ هل يمكن لاي انسان ، ان يثق ثقة تامة بان اي انسان آخــر منزه عن ارتكاب جريمة قتل ، مهما تكن الظروف والاحوال

ــ لا يمكن طبعا في بعض الحالات ، وانا اتفق معك على ان الحيوان الآدمي كفيل بارتكاب اية جريمة في بعض الظروف الخاصة . اما في حالة كارولين ، فان لدى من الاسباب ما يجعلني اومن بانهـــا آخر من يرتكب جريمة قتل . وانا اقدر هذه الاسباب اكثر من اى شخص آخر

ثم لمست أثر الجرح العميق على خدها واردفت قائلة :

ــ اترى هذا ؟ لعلك قد عرفت كيف حدث ؟

ولما أومأ بوارو برأسه ، اردفت قائلة :

ــ ان هذا من صنع كارولين ، وهو ايضا السبب الذي يجعلني اومن بانها لا يمكن ان ترتكب جريمة قتل

ــ ان بعض الناس يرون انه ، في الواقع ، الدليـــل الذي يثبت استعدادها لارتكاب مثل هذه الجريمة

ــ ولـــكن الحقيقة هي العكس ، او ينبغي أن تـــكون العكس . حقا ان ممثل الاتهام اتخذ من هذه الاصابة دليلا على تهور كارولين وعنف طباعها ، وان الناس يظنون ان الفتاة التي كادت تقتل اختها الطفلة بدافع الغيرة ، لا تتردد في قتل زوجها لهذا الدافع نفســـه ولكن لو حاول هؤلاء ان يحسنوا التفكير لعرفوا ان العكس هـــو الصحيح

وغمغم بوارو قائلا :

ـ هذا فضلا عن ان الانسان المتهور السريع الغضب ، لا يلجا الى السم فى ارتكاب جريمته . ان القتل بالسم يحتاج الى تفكير وتدبير وثبات اعصاب . اما المتهور العنيف فانه يحاول القتل باى شيء يقع تحت يده

فلوحت انجيلا بيدها ، وقالت :

ـ ليس هذا ما اعنيه وان كان لا يعدو الواقع . وانما اعنى شيئا آخر . وساحاول ان اوضحه لك . لنفرض انك انسان عادى ولكنك شديد الغيرة كما هو الحال مع الكثيرين ، ولنفرض انك فى سن الطيش والمراهقة والعجز عن السيطرة التامة على المشاعر والاعصاب ، واوشكت ان ترتكب جريمة قتل اخ صغير او اخت . اذن فكر فى الصدمة الرهيبة ، وفى الفزع ، وفى الندم الذى يملأ نفسك بعد ذلك . ان مثل هذه المشاعر ، الفزع والندم ، لا يمكن ان تزول من نفس فتاة مرهفة الاحساس مثل كارولين ، مهما مرت الايام ، وانا لا ازعم انى كنت متأكدة من مشاعرها هذه فى تلك الايام، ولكنى وانا أذكر معاملتها لى بعد اصابتى ، أدرك الآن حقيقة الفزع والندم والالم الذى كان يستبد بها . ان هذا الحادث ، حادث اصابتى على يديها ظل يؤرق نومها ، ويثقل عليها ، ويلون تصرفاتها بلون خاص . انه يفسر موقفها بعد ذلك منى ، وشدة حبها لى ، وفرط عطفها على ، ومبلغ تعلقها بى . كانت تريد ان تعوضنى عن اصابتى بكل شيء . ولو بحياتها اذا استطاعت ، وكانت معظم مشاجراتها مع زوجها بسببى ، وكنت اشعر بالغيرة منه ، وادبر له « مقالب » صبيانية سخيفة ، واذكر انى اختلست يوما مادةتجذب رائحتها القطط ، ووضعتها فى كأس شرابه ، وكذلك وضعت مرة اخرى بعض الحشرات المنفرة فى فراشه . . ومع ذلك كانت كارولين تقف دائما بجانبى

وتوقفت مس وارين برهة قبل ان تستطرد قائلة :

ـ ولم يكن هذا من صالحى فى شيء بطبيعة الحال ، فقد كان هذا الاسراف فى تدليلى كفيلا بان يفسد اخلاقى ، ولكن هذا كله خارج عن موضوعنا ، فنحن نتحدث الآن عن كارولين ، وازيد ان اقول ان النتيجة التى ترتبت على تهورها فى اصابتى ، هى شعور دائم فى اعماق نفسها يجعلها تحذر من ارتكاب عمل آخر مماثل . كانت

كارولين دائما تراقب نفسها بنفسها . كانت فى فزع مستمر من ان يتكرر هذا الحادث بصورة او باخرى . وقد لجأت فى مراقبة نفسها الى وسائلها الخاصة ، ومن هذه الوسائل استعمال العبارات العنيفة القاسية فى اثناء غضبها من شيء . فكلنا نعرف أن مثل هذا الانطلاق فى الالفاظ القاسية ، هو عادة صمام الامن الذى يهدىء من ثورة الغضب المشتعل ، ويحول الرغبة فى التحطيم الى مجرد كلمات لا تضر ولا تنفع . لقد ادركت هى ، بالتجربة ، جدوى هذه الوسيلة . ادركت ان العبارات العنيفة التى تطلقها اثناء الغضب . هى صمام الامن لطبيعتها المندفعةالمتهورة ، وهذا هو السبب الذى كان يجعلها تقول لزوجها ساعة الغضب مثل هذه العبارات : « سامزقك اربا ، واضع لحمك فى زيت مغلى » او « اذا تماديت فى اغضابى فسوف اقتلك حتما » وكانت سريعة الغضب كثيرة الشجار، وكانت ترى فى شجارها تخفيفا عن طبيعتها العنيفة المندفعة ولهذا كثيرا ما كانت تقع بينها وبين امياس مشادات عجيبة ... واحيانا طريفة

ـــ نعم ؛ قيل لى انهما كانا يتشاجران كالقطة والكلب

ـــ تماما ، ولكن الشيء الذى لم يفهمه الناس عنهما هو انهما كانا يستمتعان بهذه المشاجرات . نعم ، اننى اذكر هذه الحقيقة كان كل منهما يوجه اثناء الغضب الى الآخر اعنف واقسى العبارات ، ولكن هذا كله لم يكن ليؤثر على الشعور الحقيقى الذى يكنه كل منهما لصاحبه . بعض الازواج يحبون الحياة الرتيبة المسالمة ، ولكن امياس ، كفنان ، لم يكن يحب هذه الحياة الرتيبة ؛ كان يثيرها ضجة صاخبة حامية اذا فقد مثلا زرار قميصه ... وكانت هى تكيل له الصاع صاعين ، ثم لا يلبثان أن يهدآ ويتصافيا كانما ازاح كل منهما عن كاهله عبئا ثقيلا او افرغ عن نفسه شيئا محبوسا

ولوحت انجيلا بيدها فى ضيق واردفت قائلة :

ـــ لو انهم لم يبعدونى عن جو المحاكمة ، لذكرت هذه الحقيقة امام القضاة

ثم هزت كتفيها وعادت تقول :

ـــ ولكنى اعتقد انهم ما كانوا ليصدقوننى . كما انه لم يكن فى مقدورى يومذاك أن أوضح للمسئولين حقيقة الموقف بين الزوجين

كما افهمه الآن . . . هل تفهم ما اعني ؟

ـ تمام الفهم ، ولكن ماذا كان شعورك الخاص في ذلك الحين يا مس وارين ؟

فتنهدت انجيلا وقالت :

ـ اعتقد أن شعوري يومذاك كان مزيجا من الحيرة والعجز ، كنت في شبه حلم مزعج عجيب ، وانا ارى كارولين مقبوضا عليها بعد ثلاثة أيام من الحادث ، واذكر انى اعلنتها ثورة صبيانية جامحة على الجميع ، ولكن كارولين نصحتني بالتزام السكينة والهدوء ، وطلبت من المسئولين الا يزجوا بي في هذا الامر ، فذهبت الى أسرة صديقة في الريف ، ولما تقرر عدم الحاجة الى سماع شهادتي ، تمت الترتيبات لترحيلي الى مدرسة داخلية في الخارج : في ميونيخ . وقد رفضت الذهاب في اول الامر ، ولكن الجميع افهموني ان هذه هي ارادة كارولين ، وان الواجب على ، في مثل هذه الظروف ، أن اعاونها بالطاعة ، فذهبت . وبعد ثلاثة اشهر علمت بمنطوق الحكم الذي صدر عليها . ولما حاولت زيارتها ، رفضت في اصرار . . . ولست ادرى لماذا

ـ لانها ارادت ان تجنبك الآلام النفسية ، حين ترين اختك الحبيبة في ملابس السجن

ـ ربما

ونهضت انجيلا وارين واقفة ، ثم استطردت تقول :

ـ بعد صدور الحكم باعدامها ، اى قبل تخفيفه الى السجن المؤبد ارسلت اختى الى خطابا خاصا لم اطلع عليه احدا ، ولكني أعتقد انه لا مانع من ان اطلعك عليه الآن . فانك بعد أن تقرأه ، ستعرف اى نوع من النساء كانت كارولين ، ويمكنك ، اذا اردت ، أن تأخذه لتطلع عليه كارلا

وغادرت الغرفة ، ثم لم تلبث أن عادت ومعها خطاب وصورة شمسية . ثم قالت :

ـ هذه صورتها ، اتراها صورة قاتلة ؟

ونظر بوارو الى الصورة باممان ، الى الوجه البيضاوي والملامح الرقيقة ، والعينين الهادئتين . انه وجه امرأة غير واثقة من نفسها . امرأة قوية العاطفة ، ذات جمال خفي ، ولكن تنقصها قوة الشخصية والحيوية اللتين تتمتع بهما ابنتها . تنقصها هذه

الروح المرحة المشغوفة بالحياة ومباهجها التى ورثتها كارلا عن ابيها

وقالت انجيلا :

ـــ اما وقد رايت صورتها ، فاقرا خطابها

وبسط بوارو الخطاب برفق وراح يقرأ :

« حبيبتى انجيلا الصغيرة

« سوف تسمعين اخبارا سيئة ستحزنك ، ولكننى أريد ان أؤكد لك ان كل شيء معى كما ينبغى ، اننى لم اكذب عليك يوما ، وانا الآن لست اكذب عليك اذا قلت لك اننى فى الواقع سعيدة ، واننى اشعر باحساس عميق بالسكينة والسلام والعدالة ، لم اشعر به من قبل . تأكدى يا حبيبتى اننى لست حزينة ، ولا يائسة ، ولانادمة على شيء ، فلا تحاولى أن تعودى بذاكرتك الى الماضى ، فتشعرى بالحزن والاسى من اجلى . انظرى الى الامام ، اهتمى بحياتك واطلبى النجاح ، وأنا اعرف انك قادرة على النجاح ، وعلى الانتصار اما انا ، فسوف أعود الى امياس ، ولست اشك فى اننا سنبقى معا ، وما كان فى مقدورى ان أستمر فى هذه الحياة الدنيا بدونه . اننى ارجو منك شيئا واحدا ، وهو ان تكونى سعيدة . وقد قلت لك اننى الآن سعيدة ، فان على الانسان ان يدفع الثمن ، وان يشعر فى النهاية بالسكينة والسلام »

وبعد ان قرأ بوارو الخطاب مرتين اعاده الى انجيلا قائلا :

ـــ انه خطاب جميل رائع يا آنسة . خطاب مدهش عجيب

ـــ لقد كانت كارولين حقا شخصية عجيبة مدهشة

ـــ وهل ادركت ان هذا الخطاب يدل على براءتها ؟

ـــ نعم . بلا شك

ـــ ولكنها لم تذكر هذا بصراحة

ـــ لان كارولين لم يخطر ببالها يوما انها مذنبة

ـــ ربما . ربما . ولكن يمكن من جهة اخرى ان يدل هذا الخطاب على انها اذنبت ، ودفعت الثمن . واصبحت فى حالةنفسية هادئة

فقالت انجيلا :

ـــ لالا . اننى واثقة تماما من براءتها

ـــ الله يعلم اننى اتمنى ان تكون ثقتك فى محلها ، ولكن اذا لم

تكن اختك هى المذنبة ، فماذا حدث حقا ؟
فأومأت برأسها وقالت :
ـ هذه هى المشكلة ، واعتقد ان التعليل الوحيد هو ان امياس مات منتحرا
ـ ولكن ، هل تعتقدين ـ فى قرارة نفسك ـ ان اميـــاس من الاشخاص الذين يحلون مشاكلهم بالانتحار ؟
ـ انه فى رأيى آخر من يفعل هذا ، ولكن لكل قاعدة شواذ ، فلعل الشخص الذى يبدو للجميع انه محصن ضد الانتحار ، هو اول من ينتحر فى ساعة يأس . اننا فى الواقع لانعرف عن حقائق النفس البشرية الا القشور
ـ اليس هناك اى احتمال آخر فى رأيك ؟
فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :
ـ انى افهم ماذا تعنى ، ولكننى فى الواقع لم افكر من قبل فى اى احتمال آخر . انك تعنى ان شـــخصا آخر قتل اميـاس ، قتله عن عمد وسبق اصرار وبعد تدبير محكم
ـ اليس هذا محتملا ؟
ـ ان الاحتمال فى هذه الحالة يكاد يتساوى مع احتمال انتحاره
ـ اذن ، لنبحث هذا الاحتمال ، ونحاول ان نعرف اى الاشخاص الخمسة هو اقرب الجميع الى هذا الاحتمال
فصمتت انجيلا برهة اخرى ، ثم قالت :
ـ حسنا . دعنى افكر . اننى شخصيا لم اقتله . ولم تقتله الزا على وجه اليقين ، فقد كادت تفقد عقلها حين علمت بموته ، فمن يتبقى ؟ ميرديث بليك ...! لقد كانت دائما كالقطة الأليفة الهادئة ، حقا انه كان يحب كارولين فى صمت ، وان هذا الحب يصلح ان يكون باعثا للقتل ، ولكن ، على هذا الفرض ، لماذا يقتل امياس وهو يعلم انه سيطلق كارولين وســـيتزوج الزا ؟ هـذا عدا ان ميرديث ليس بالرجل الذى يلجأ الى القتل لتحقيق اهدافه . فمن يتبقى بعد ذلك ؟
ـ فيليب بليك ، ومس ويليامز
فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :
ـ كانت مس ويليامز شديدة الحب لاختى ، ولم تـكن راضية يوما عن تصرفات امياس ، ولكن هل يكفى هذا الحب للزوجة ، وهذا

النفور من الزوج ليكونا سببا يدفع سيدة ذات مبادىء واخلاق كريمة الى ارتكاب جريمة قتل ؟!

ـ انا شخصيا لا أعتقد هذا

ـ لم يبق اذن غير فيليب بليك . وما دمنا نتحدث عن الاحتمالات فانا ارى أن احتمال ارتكابه للجريمة هو اقرب هذه الاحتمالات كلها الى الصواب !

ـ لقد اثرت فضولى جـــدا يا مس وارين . هل يمكن أن أعرف لماذا ؟!

ـ انني لا اعرف شيئا محددا عنه ، ولـكني أعتقد مما اذكره : انه شخص محدود الخيال ، ضيق الافق . ومثل هذا الشخص قد يلجأ الى اقسى الوسائل لتحقيق اغراضه .

ـ وهل كانت لفيليب أغراض خاصة ؟

ـ انني لا ادرى على وجه التحديد ، ولكن الانسان أحيانا يذكر أشياء تعيد الى ذاكرته فجأة أشـــياء مماثلة . فقد حدث وأنا أقيم ق فندق على ساحل الريفيرا انى رأيت سيدة تخرج فى منتصف الليل من غرفة شاب اعزب لا يمت اليها بصلة قرابة . وقد فوجئت هى برؤيتى لها . وكانت على وجهها امارات عجيبة . امارات المراة التى ضبطت وهى تغادر خلسة غرفة عشيقها . وقد ذكرنى هـــذا الموقف بموقف آخر رأيته فى صغرى دون أن أفهم يومذاك معناه ، ولكنى فهمت هذا المعنى أخيرا

ـ أى موقف تعنين ؟

فقالت انجيلا :

ـ موقف اختى كارولين وهى تخرج فى سكون الليل من غرفة فيليب بليك أثناء اقامتـــه فى قصر آلدربرى . اننى لم أفهم يومذاك معنى خروجها من غرفته فى مثل هذه الساعة ، ولكننى فهمته بعد أن رأيت نفس الامارات التى ارتسمت على وجه سيدة الفـندق فى ساحل الريفيرا ، امارات وجه المراة الخارجة من غرفة عشيقها

ـ ولكن هذا عجيب يا مس وارين ، لقد فهمت من حديث فيليب انه كان يكره أختك اشد الكراهية

ـ نعم ، أعرف ، ولـكن هذا ما حدث !

الفصل الثامن

قصة العدو العاشق

كتب فيليب بليك ما يلي عن مأساة أمياس كريل وزوجته :

كانت صداقتي لامياس كريل ترجع الى عهد الطفولة .. فقد كان بيت أسرتي قريبا من بيت أسرته في الريف .. وكان امياس أكبر سنا مني بعامين .. وكثيرا ما لعبنا معا ، وقضينا الاجازات المدرسية معا رغم اننا لم نكن في مدرسة واحدة . وأستطيع ان أقول وانا جد مطمئن الى هذا القول : « ان ما أعرفه عن أخلاق كريل وطباعه يجعلني أستبعد تماما كل ادعاء بأنه مات منتحرا » لقد كان أشد الناس حبا للحياة ، واستمتاعا بها ، واقبالا عليها ..كان موفور الشباب والجمال والقوة ، وكان في طريق المجد والشهرة والثراء .. فلماذا ينتحر ؟! اينتحر لانه شعر بتأنيب الضمير بسبب معاملته لزوجته ؟! ان هذا الأمر يثير السخرية والضحك ..

أما زوجته كارولين ، فقد كنت اعرفها منذ صباها ..منذ ان كانت تاتي للاقامة مع أقاربها من أسرة كريل . وكانت يومذاك ، فتاة مندفعة ، متهورة ، لا تتحكم في أعصابها ، ورغم جمالها وجاذبيتها ، فقد كانت من الفتيات اللائي يصعب على الانسان أن يعيش سعيدا بالزواج من احداهن ..

وقد القت شباكها فورا حول امياس ، ولم يكن هو في أول الامر ميالا اليها ، ولكنه لم يلبث ، بعد ان الفها ، وخرج معها بمفرده كثيرا ، أن تعلق بها ، فتمت خطبتهما . وشعر أصدقاء أمياس المخلصون بالقلق لهذا الزواج .. لانه كان من الواضح أن كارولين ليست بالزوجة الصالحة لامياس ..

وكان هـذا هو السـبب في وجـود شيء من النفور بين كارولين

واصدقاء اميلس المخلصين فى السنوات الاولى من الزواج..ولم يكن أمياس بالانسان الذى يتخلى عن أصدقائه ، بسهولة ، لأى سبب.. وهكذا لم تلبث العلاقة الوطيدة والصداقة الاكيدة أن عادت كما كانت بيني وبينه .. وبدأت أتردد على قصر آلدربرى ، وقد جعلنى هو اشبينا ـ والدا روحيا ـ لابنته كارلا .. ولعل هذا هو الدليل الاكيد على مدى صداقتنا الرائعة ..

ونعود الى المأساة ، فأقول : اننى دعيت للاقامة ضيفا فى قصر صديقى كريل بالدربرى قبل وقوع الحادث بخمسة أيام « هكذا جاء فى مفكرتى » اى فى اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر . وقد شعرت منذ اللحظة الاولى بتوتر الجو بين أمياس وكارولين .. فقد كانت مس الزا جرير تقيم أيضا فى القصر .. وكان أمياس مشغولا برسم صورة زيتية لها ..

وكانت تلك أول مرة أرى فيها مس جرير بعد أن سمعت عنها من امياس .. وقد تبينت من الوهلة الاولى أن صديقى غارق الى أذنيه فى حب الفتاة ، وأنها تكاد تلتهمه بعينيها من فرط الحب كلما رأته.. وكان الواضح أنها هى التى أوقعت أمياس فى شراكها برغم فارق السن بينهما ، وبرغم ثرائها الواسع

اما كارولين فكانت غيورا بطبيعة الحال كالمعتاد ، وكانت غيرتها الشديدة هى السبب الذى يدفع أمياس الى القاء نفسه بين الحين والآخر فى أحضان هذه المرأة أو تلك

والمهم أن الجو كان شديد التوتر . واذكر ان أمياس قال لى حين رآنى : « حمدا لله أن جئت يا صديقى ، ان الحياة بين أربع نساء تكفى لان ترسل بالانسان الى مستشفى المجاذيب »

وكان يقصد زوجته ، والزا جرير ، والمربية مس ويليامز،وانجيلا وارين ..

والواقع ان الجو كان مضطربا حقا .. فقد كانت كارولين توشك على الانفجار من فرط الغيرة ، وكانت فى الوقت نفسه تعامل الزا بطريقة مهذبة ، ولكنها قاطعة كالسيف .. أما الزا فكانت اكثر صراحة وخشونة فى معاملتها لكارولين .. كانت واثقة من نفسها ومن الحب المتبادل بينها وبين كريل .. وكانت تعرف أنها دخيلة ، وأنها مخطئة ببقائها فى القصر ، وأنها ستحطم حياة زوجية ، ولكنها

لم تكن مهتمة بشيء من هذا ·· لم يكن لديها من التربية العالية ، او الحسب الرفيع ، أو المبادىء المثالية ما يوقفها عند حدها··كان همها كله أن تسعد ولو على حساب الآخرين ·· وكان أمياس يقضى معهـا معظم اوقاته ، أثناء رسم اللوحة ، وفي فترات الفراغ ·· اما علاقته بانجيلا وارين فكانت تضـطرب بين الصـفاء ، والعبث الصبياني والمداعبات ، ثم المشاجرات وتبادل الالفاظ الحادة ·· ثم عودة الصفاء وهكذا ، حتى قرر فى النهاية الحاقها بمدرسة داخلية ·· وأما المس ويليامز ، فكان يقول لى عنها : « هذهالمرأة الجيزبون تكرهني كما تكره الموت ·· انها تجلس دائما مزمومة الشـفتين ، تنظر الى باحتقار شديد ، كأنى حشرة خبيثة ، هذه اللعينة عـدوة الرجال » ··· ثم اردف قائلا : « اللعنة على النساء جميعا ، اذا أراد الرجل أن ينعم بالسكينة والسلام ، فيجب أن يعيش بعيدا عنهن » ··· فقلت له : « ما كان ينبغى لك أن تتزوج ·· فانت بطبيعتك آخر من يصـلح للحياة الزوجية ·· »

فقال ان الحديث فى هذا الموضـوع جاء بعد أوانه ، وان كارولين سوف تتشبث بالخلاص منه · وكانت تلك أول مرة أدرك فيهـا أنه ينوى الانفصال عنها ، فقلت له :

«اذن فان علاقتك بهذه الفتاة الحسناء الزا جادةكل الجدهذهالمرة ؟»

فضحك قائلا : « انها حسناء ! اليس كذلك ؟ انني أحيانا أتمنى لو أنى لم أرها ·· »

فقلت له جادا : « اسمع يا صديقى ، ينبغى عليك أن تتحكم فى عواطفك ، وأن تكف عن هذه العلاقات المستمرة بالنساء »

فنظر الى ضاحكا وقال :

« من السهل عليك أن تتحدث وتنصح ، ولكن ليس من السهل على أن أبتعد عن النساء ، وحتى لو ابتعدت أنا ، فانهن لن يتركننى وشأنى »

ثم هز كتفيه وقال :

« على كل حال سوف ينتهى كل شيء على خير ، وستكون الصورة من أروع أعمالى »

وظلت حالة التوتر قائمة حتى بلغت ذروتها فى ظهر اليومالسابع

عشر من سبتمبر .. أى قبل المأساة بيوم .. كنا جميعا نتناول طعام الغداء ، وكانت الزا توجه الحديث الضاحك العابث الى أمياس فقط ، وكاننا غير موجودين معها ، وكانت كارولين توجه اليناحديثها الناعم الملفوف الذى تبدو كلماته عادية ، ولكنها تقطع كالسكين وهى تتحدث بطريقة غير مباشرة عن « استهتار » بعض الفتيات،وعن « الاصل الحقير » الذى يلون تصرفات صاحبه بالشر والسوء ..

وانتقلنا بعد طعام الغداء الى قاعة الاستقبال ، وهناك أعربت عن اعجابى بتحفة جميلة من خشب الزان المحفور المصقول ، فقالت كارولين بهدوء :

« انها صناعة مثال نرويجى شاب،وقد أعجبت أنا وأمياس ببراعته

« وأعتقد أننا سنزوره حين نقضى جانبا من فصل الصيف الآتى فى النرويج »

وكان هدوء حديثها وما ينم عليه من ثقة تامة ببقائها مع أمياس ، أكثر مما تطيق الزا التى ما كانت لتقبل أن تهزم فى أية محادثة ، ومن ثم قالت بعد فترة صمت :

« يمكن أن تبدو هذه الغرفة أجمل بكثير لو أخليناها من بعض الاشياء السمجة التى لا معنى لها .. وأعتقد اننى حين أقيم هنا ، سأزيل منها كل السخافات والتفايات ، وسأضع على النوافذ أستارا فى لون النحاس ، فاذا انعكست عليها أشعة شمس الاصيل ، بدت فى لون الذهب .. فما رأيك يا مستر فيليب بليك ؟ »

وقبل ان أجيب ، قالت كارولين بصوت ناعم ، ولكنه احد من السيف :

« هل تنوين شراء هذا القصر يا الزا ؟ »

فقالت الزا : « ليس من الضرورى أن أشتريه لكى أقيم فيه »

فقالت كارولين بصوت لا أثر فيه للرقة هذه المرة : « اذن ماذا تعنين ؟ »

فضحكت الزا بوقاحة وقالت : « هل من الضرورى يا كارولين أن تتظاهر بالغباء ؟ انت تعرفين تماما ما أعنى »

« واذا كنت لا أعرف ؟ »

« لا تكونى كالنعامة التى تخفي راسها فى الرمال ؟ انت تعرفين

جيدا أنني أتبادل الحب مع أمياس ، وليس هذا قصرك ، وانما قصره، وبعد أن يتم زواجنا سأعيش فيه »

« يبدو أنك مجنونة يا الزا »

« لا يا عزيزتي ، انني عاقلة جدا،ويحسن بك أن تعترفي بالواقع، وتحرري أمياس من قيد الزواج بك »

« انني لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين .. »

وفي تلك اللحظة ، دخل أمياس الغرفة ، فقالت لها الزا :

« اذا كنت لا تصدقين ، فهذا هو امياس .. اسأليه .. »

فقالت كارولين لامياس :

« أمياس ، الزا تزعم أنك ستتزوج بها ، فهل هذا صحيح ؟ »

فاضطرب امياس المسكين ، وبدا كالسمكة في الشبكة ، ثم التفت الى الزا وقال بعنف :

« ما معنى هـــذا بحق الشيطان ؟ الا تعرفين كيف تمســكين لسانك ؟! »

فقالت له كارولين : « اذن فالامر صحيح ؟ »

فقال وهو يزداد اضطرابا : « انني لا أريد ان أناقش هذا الموضوع الآن »

فقالت كارولين : « ولكنني اريد مناقشته فورا »

فتدخلت الزا في الحديث ، قائلة : « أعتقد يا أمياس أن من حق كارولين ان تعرف الحقيقة »

فقالت كارولين بهدوء : « احقا هذا يا أمياس »

ولما ازداد اضطراب أمياس وشعوره بحرج الموقف ، أردفت هي قائلة :

« أرجو منك أن تصارحني ، فمن حقي ان أعرف »

فقال في صوت الانسان الذي لا يجد مفرا من الاعتراف بالحقيقة:

« نعم ، ان ما تقوله الزا صحيح ، ولكني لا أريد أن أناقش الأمر ... الآن »

ثم غادر الغرفة ، وغادرتها أنا وراءه ، لاني أبيت ان أبقى في ذلك

الجو المضطرب مع المراتين ، وفي الشرفة،سمعته يسب ويلعن بعنف ثم قال لى :

« لماذا لم تمسك هذه اللعينة لسانها وتكتم السر حتى افرغ ، على الأقل ، من رســـم اللوحة ؟ انها اللوحة يا فيليب هى التى تهمنى الآن ‥ انها أروع انتاج فنى ‥ اننى لن أسمح لامرأتين غيورتين أن تحرماني من اتمامها »

ثم هدأ فجأة ، وقال : « ان النســـاء عموما حمقاوات ، لا يفهمن شيئا » فقلت له باسما :

« ولكنك أنت الذى جلبت على نفسك هذا كله يا صديقى »

« اننى اعرف ‥ ولكن يجب أن تعترف أن أى انســـــان كفيل بالوقوع فى غرامها اذا سمحت له هذه الشيطان الحسناء ، بل ان على كارولين أيضا أن تلتمس لى العذر »

« ولكن ، لا تنس واجبك يا امياس نحو ابنتك الطفلة »

فأمسك بذراعى وقال :

« انا أعرف أنك تريد لى الخير يا فيليب ، فارجـو أن تخفف من تأنيبك لى ، اننى أعرف كيف أسوى أمورى فى النهاية ، وثق أن كل شىء سينتهى على خير »

هكذا كان أمياس ‥ متفائلا دائما ‥ مبتهجا أبدا

ولا أذكر هل تبادلنا حديثا آخر أم لا ‥ ولكنى أذكر ان كارولين اقبلت الى الشرفة وهى أتم ما تكون هدوءا وثباتا ، وقالت لاميـاس بصوت عادى :

« هلم اســـــتعد للذهاب الى ميرديث ، لا تنس أنه دعانا لشرب الشاى فى بيته بعد ظهر اليوم »

فنظر اليها أمياس دهشا ثم قال متلعثما :

« نعم ‥ نعم ‥ لقد نسيت .. ولكننا سنذهب طبعا .. »

ولما غادر أمياس الشرفة لارتداء ملابس الخروج ، التقطت كارولين بعض الأزهار من آنية الزهور بالشرفة ، واســـتدارت الى ، وراحت تتحدث ‥ وتحدثت طويلا عن الجو ‥ وعن احتمال الذهاب معا الى صيد السمك اذا ظل الجو صافيا هكذا ‥ وقد عجبت لهـــدوئها المفاجىء ، وتوجـست شرا ، وكان ينبغى فى تلك اللحظة أن أكون على

حذر ، وان أدرك أنها ولا شك قررت أن تقضى على أمياس ، وان هذا القرار هو سر هدوئها المفاجيء . فقد كنت دائما أعرف أن كارولين امرأة شديدة الخطر رغم ما يبدو عليها من رقة وجاذبية أحيانا ، ولكنني ، بحماقتى ، ظننت أنها خضعت للأمر الواقع ، وانها سوف تستسلم لنصيبها فى الحياة

▭

واقبل الجميع بعد ذلك .. الزا في تحد وانتصار .. ولكن كارولين لم تحفل بها ، وانقذت انجيلا الموقف بمناقشتها مع المس ويليامز بشأن الجونلة ، قائلة : « انها لن تغيرها ، لان ميرديث « العجوز » لن يلحظ انها فى حاجة الى كى » ، ومضينا فى الطريق الى أخى ميرديث .. كارولين وانجيلا في المقدمة ، وأمياس وأنا ، ثم الزا بمفردها .. تسير شامخة الرأس .. باسمة !

ووصلنا الى بيت ميرديث ، ولست أذكر شيئا من الحديث الذى دار أثناء تناولنا الشاى ، ولكنى اذكر أن ميرديث ، وقد لاحظ اضطراب الموقف وعرف شيئا مما سيحدث بين كارولين وأمياس ، انفرد بى بعد الفراغ من الشاى وقال لى :

« اسمع يا فيليب .. مستحيل ان يفعل أمياس شيئا من هذا »

« أؤكد لك أنه سيتزوج بهذه الفتاة فى أقرب فرصة »

« ولكن .. كيف يترك زوجته وابنته ليتزوج بفتاة تصغره بعشرين عاما ؟ »

« لا تنزعج من هذه الناحية .. ان الزا تعرف تماما ما تريد .. وسوف تظفر به »

وانتهت محادثتنا عند هذا الحد . وكنت أعرف أن كارولين ، بعد طلاقها ، سوف تتزوج من ميرديث الذى ظل مخلصا لحبها كل هذه السنوات .. والعجيب انى لا أتذكر بالتفصيل ماذا حدث فى غرفة المعمل .. فقد كنت دائما أضيق بحديث ميرديث عن هوايته فى استخراج العقاقير من النباتات الطبية ، ومن ثم وقفت معهم مستغرقا فى أفكارى الخاصة ، ولهذا لم أر كارولين وهى تختلس كمية سم الكونين ، ولكنى اذكر ان ميرديث ، بعد مغادرتنا غرفة المعمل الى غرفة المكتبة ، قرأ لنا فصلا ممتعا رائعا عن مأساة سقراط ،

واللحظات الاخيرة من حياته بعد ان أعطى كأس سم الكونين ليشربه

وليس هناك ما يستحق التسجيل من أحداث هذه الليلة ، ولكني اذكر أن انجيلا تشاجرت بعنف مع أمياس قبل أن تأوى الى النـوم بشأن قراره لالحاقها بمدرسـة داخلية . واذكر اننا ابتسمنا اسـد المشاجرة الصبيانية ، التى خففت من توتر الجو المنزلى ، ومما أثار ضحكنا ، أن انجيلا قالت لامياس ، قبل أن تفر باكية الى مخدعها ، أنها أولا : ستعرف كيف تنتقم منه ، وثانيا : تتمنى لو أنه مات ، وثالثا : ترجو أن يموت بالجذام ، ورابعـا : تأمل أن تلتصق بأنفـه قطعة سجق ولا تنتزع منـه ابدا ، كما جاء فى القصـة الخرافية !

ولما ذهبت ، ضحكنا جميعا لهذه « التشكيلة » المنتقاة من الدعوات

وأسرعت مس ويليامز وراء تلميذتها لتهدىء من ثورتها ، وغادرت كارولين الغرفة الى مخدعها ، ومضى أمياس والزا الى الحديقة . أما أنا ، فقد سرت بمفردى فى سكون الليل ...

وفى اليوم التالى ، هبطت الى قاعة الطعام فى ساعة متأخرة من الصباح ، ولم يكن بها أحد ، فتناولت الافطار بمفردى ، وتجولت قليلا ، ورأيت مس ويليامز تبحث هنا وهناك عن انجيلا التى هربت منها حتى لا تخيط جونلتها بنفسـها .. ثم عدت الى صـالة الطابق الاول حيث سمعت مشاجرة حامية كانت دائرة بين أمياس وزوجته فى غرفة المكتبة ، وقد سمعتها تقول بوضوح وبنفور شديد :

« هكذا أنت دائما مع نسائك ، لسوف اقتلك فى يوم ما »

وسمعت أمياس يرد عليها قائلا : « لا تكونى حمقاء يا كارولين »

فقالت : « بل اننى أعنى ما أقول »

ولم اشأ أن أسمع أكثر من هذا ، فغادرت الصـالة الى الشرفة الكبيرة ، حيث رأيت الزا جالسة على مقعد مستطيل تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة .. وكانت النافذة مفتوحة ، ولهذا أعتقد أنها سمعت كل كلمة دارت بين الزوجين . ولكنها حين رأتنى ، نهضت مسرعة ، وأقبلت نحوى باسمة ، وتنـاولت ذراعى ، وقالت ان الجو فى ذلك اليوم جميل .. فيا لها من فتاة قاسية لا ترحم .. تتغزل فى جمال الجو بينما الخصومة دائرة بين الزوجين داخل القصر .. وبقينـا فى الشرفة بضع دقائق نتحدث ، ثم اذا كريل يقبـل نحونا مضطرم الوجه ، ويمسك بكتف الزا فى شىء من العنف ويقول لها : « هلم ..

فقد آن وقت الرسم .. انني أريد أن أفرغ من الصورة اليـــوم ،
فقالت له : « حسنا ، لسوف آتي بسترتي الصوفية لاضعها على
اكتافي ، فان الهواء في حديقة البحر بارد .. »

ولما دخلت القصر ، قال أمياس لي : « هؤلاء النساء .. »

ولم يزد .. وبقينا صامتين حتى عادت الزا ، ومضت معــه الى حـــديقة البحر ، ودخلت أنا الى القصر ، ورأيت كارولين واقفة في الصالة في شبه ذهول ، حتى خيل الى أنها لم ترني ، وانما سمعتها تقول بوضوح : « يا للقسوة .. يا للاستهتار »

ثم صعدت الى الطابق الثاني دون أن يبدو عليها أنهـا رأتني أو شعرت بي ، وكأنما هي مشغولة الذهن بتدبير شيء .. وأعتقد «وان كان ليس من حقي أن أقول هذا » أنها صعدت لتحضر السم الذي قررت أن تقتل به زوجها .. وفي تلك اللحظة ، دق جرس التليفون، فلم أنتظر حتى يرد عليه أحد الخدم ، وانما تناولت السماعة ، فاذا أخي ميرديث يخبرني بأمر اختفاء كمية من سم الكونين من معمله .. ولست بحاجة لان أعيد ما قلته بهذا الشأن ، وانما يكفي القول أني طلبت من ميرديث الحضور فورا ، وذهبت الى شاطيء الخليج لألتقي به ، ومررت في طريقي بسور حديقة البحر حيث سمعت أميـــاس والزا يتبادلان الحديث في بهجة وانطلاق ومرح.. وكان أمياس يقول ان الجو في ذلك اليوم حار بشكل عجيب بالنسبة لشهر سبتمبر ، وقالت له الزا ان الهواء البارد الذي يهب عليهـــا من البحر جعــل عضلاتها تتيبس وهي جالسة أمامه بغير حراك ، وأردفت قائلة : « ألا يمكن يا حبيبي أن تدعني أستريح قليلا » وسمعت أمياس يصيح بها « لا لا .. ابقي كما أنت .. فانني أسير سيرا حسنا في اللوحة ، وأؤكد لك انها ستكون رائعة .. لا تقطعي حماسي للعمل .. »
وسمعتها تضحك قائلة « يا لك من وحش قاس »

◻

ووصلت الى شاطيء الخليج حيث رأيت ميرديث يغادر الزورق ، وشرعت أتحدث معه بشأن السم المسروق ، ولما تأكدت تماما من أن كمية من سم الكونين سرقت حقا من معمله ، قلت له لابد أن تكون كارولين هي السارقة حتى تقضي على الزا وتحتفظ بزوجها ، ولكن ميرديث أبى أن يصدق ان تهبط كارولين الى حــد ارتكاب الجريمة ،

وان من المرجح أن تكون الزا هي السارقة ، وهكذا بقينا نتجادل ، ثم قررنا ان نتحرى الأمر في روية وهدوء ، وان ينفرد كل منا في الوقت المناسب بكارولين والزا لمحاولة استدراجهما أو تحذيرهما من مغبة هذا العمل ٠٠ وكنا نتحدث في هذا الامر ونحن صاعدان في الممر الى القصر ، ولما اقتربنا من سورحديقة البحر ، سمعنا ما يشبه المشاجرة بين أمياس وكارولين في الحديقة ، وقد سمعنا كارولين تقول لزوجها : « انك قاس على الفتاة أكثر مما ينبغي » ثم اذا باب الحديقة يفتح ، وتخرج كارولين مضطرمة الوجه ، ثم تبتسم لنا وتقول انها كانت تتناقش مع أمياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة ، وأنه مصر على رأيه ، وفي تلك اللحظة ، أقبلت الزا من ناحية القصر حاملة في ذراعها معطفا خفيفا من الصوف الاحمر ، فلما رآها أمياس ، قال لها : « هلم عودي الى مكانك لاواصل الرسم ، فاني لا أريد أن أضيع الوقت »

وعاد هو الى حامل الرسم ، وقد لاحظت أنه يسير مترنحا بعض الشيء ، وخطر لي أنه أسرف في الشرب ، واذا كان قد أسرف ، فله العذر ، فليس هناك من يستطيع أن يحتمل كل هذه المشكلات دون أن يستعين ببعض كؤوس من الخمر !

ثم سمعته يقول متأففا :

« لماذا لا توجد هنا بعض زجاجات البيرة المثلوجة بدلا من هذه الساخنة الرديئة المذاق »

فقالت له كارولين « لسوف آتي اليك بزجاجة من ثلاجة القصر »

فغمغم أمياس قائلا : « شكرا ٠٠ »

ثم أغلقت كارولين باب الحديقة وصعدت معنا الى القصر ،وهناك، دخلت هي ، وجلست أنا مع ميرديث في الشرفة ، وبعد خمس دقائق أحضرت لنا انجيلا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، وفيما نحن نشرب ، رأينا كارولين وهي تمضي بزجاجة بيرة مثلوجة قائلة أنها ستحملها الى زوجها ، فعرض عليها ميرديث أن يمضي بها الى أمياس بدلا منها ، ولكنها أصرت على أن تقوم هي بخدمته • وقد خطر لي ، لحماقتي ، أن اصرارها هذا يرجع الى شدة غيرتها ، والى رغبتها في أن تفاجىء زوجها بين الحين والآخر وهو منفرد بالزا في

حديقة البحر ، ولهذا فاجأته قبل الآن متظاهرة بالرغبة في مناقشة موضوع الحاق انجيلا بالمدرسة ..

وسـارت منحدرة في الممر المتعرج ، وراقبها ميرديث برهة ، أما انجيلا فقد كانت تلح في أن أصحبها للسباحة في البحر ، ومن ثم ذهبت معها بعد أن قلت لميرديث عن موضـــوع اختفاء سم الكونين « لسوف نواصل الحديث في الموضوع بعد الغداء »

وقضيت فترة طيبة في السباحة مع انجيلا وانا أقرر في أعماق نفسي أن أتحدث ، بعد الغداء ، مع كارولين فيموضوع السمالمختفي، ذلك أني كنت انتهيت حينذاك الى أنها هي التي سرقت كمية السم ، وانه ليس هنـاك ما يدعو الزا الى ارتكاب أية جريمة ما دامت واثقة بانها هي المنتصرة في المعركة ، وأن أمياس على استعداد للانفصال عن زوجته والزواج بها ..

وسمعنا رنين جرس الغداء ، فانطلقت مع انجيـــلا مسرعين الى القصر ، وهناك وجدنا الجميع ، فيما عدا أمياس الذيقال أنه سيبقى ليفرغ من رسم اللوحة ، جالسين الى مائدة الطعام ، وفرغنـــا من تناول الغداء ، وجلسنا نشرب القهوة في الشرفة ، واني أحاول الآن أن أذكر كيف كانت حالة كارولين في تلك الفترة ، وانه من العجيب أن اذكر أنها كانت في حالة هدوء تام وكأنها لم تقتل منذ لحظاترجلا .. زوجا .. وأبا .. واني ، لهذا السبب ، لأزداد شعورا بالحقد عليها والكراهية لها .. فلو أنها قتلت أمياس بمسدس في ساعة غضب لالتمست لها بعض العذر ، أما أن تدبر مقتله بالسم،ثمتتناول الغداء بهدوء ، بل وبشهية ، ثم تجلس معنـــا في الشرفة وتشرب القهوة دون أن ترتعد لها يد ، أو يطرف لها جفن ، أو يشحب منهـا وجه ، فهذا ما لا يقدر عليه الا شيطان في صورة امرأة ..

ونهضت أخيرا ، وقالت بهدوئها القاتل : « أنها ستحمل القهوة الى امياس » ستحملها اليه وهي موقنة تماما أنه ميت .. !! وذهبت معها مس ويليامز لتبحث عن صـــديرية صوف نسيتها انجيلا على الشاطيء ، وبعد اختفائهما في الممر ، نهض ميرديث ، وسار وراءهما، وفيما أنا اهم باللحاق به بعد أن اعتذر لالزا ، اذا هو يعـود مهرعا مضطربا يقول :

« يجب استدعاء طبيب حالا .. ان امياس .. في حالة خطرة »

فوثبت واقفا وهتفت « ماذا به ‥ مات ؟! »
فقال ميرديث « نعم ‥ »
وعندئذ دوت صيحة مفزعة رهيبة اطلقتها الزا ثم اذا هي تولول قائلة :
« مات ‥ مات ‥ مات ‥!! »
وانطلقت تعدو بسرعة عجيبة ، كالغزال الجريح ، أوكرمز للغضب والانتقام ‥ وقال ميرديث لاهثا :
« أسرع وراءها ‥ أسرع ‥ فلا يدرى أحد ماذا يمكن أن تفعل هذه الفتاة ‥ ولسوف أستدعى طبيبا بالتليفون حالا »
وأسرعت وراءها وأعتقد أننى لو لم ألحق بهـا ، لقتلت كارولين بيديها ‥ فأنا لم أر فى حياتى امرأة على مثل هـذا الحزن والغضب والثورة والرغبة فى الانتقام ، كانت امرأة سوقية عنيفة حرمت من حبيبها بالموت ‥ ولو أتيحت لها الفرصـة لمزقت وجـه كارولين بأظافرها ، ولأنشبت أسنانها فى عنقها ، ولألقت بها من سـور الحديقة الى البحر ‥ واستطاعت مس ويليامز بحزمها أن تهدىء من ثورتها ، وهدأت الزا أخيرا ، ووقفت ترتعد وتلهث وتشهق ‥
أما كارولين ، فقد وقفت ثابتة ، هادئة ، ويمكن القول ، ذاهلة أيضا ‥ ولكننى أعتقد أنها لم تكن ذاهلة حقا ، وان كانت عيناها تنمان عن هذا الذهول ‥ والخوف ‥
وذهبت اليها ، الى كارولين ، وقلت لها بصوت خافت :
« أيتها القاتلة الملعونة ‥ كيف تقتلين أحب اصدقائى »
فتراجعت فى فزع وقالت :
« لا ‥ لا ‥ لا ‥ انه قتل نفسه »
فنظرت فى عينيها طويلا وقلت :
« قولى هذا لرجال البوليس ‥ ان أحدا لن يصدقك »
وقد قالت هذا ‥ ولم يصدقها أحد ‥



وذهبت اليها ، الى كارولين ، وقلت لها : « ايتهـا
القاتلةالملونة ... كيف تقتلين احب اصدقائي ؟ ... »

الفصل التاسع

اعتراف الحبيب الهارئ

وكتب ميرديث بليك يقول عن المأساة :

انني شخصيا لازلت أعتقد أن أمياس كريل مات منتحرا .. ولا تسالني لماذا او كيف ، فاني لن أومن فى يوم من الايام أن كارولين ارتكبت جسريمة قتل . وكذلك ليس هناك أى دافع يبرر قتسل أمياس على يد واحد من الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين اثناء وقوع المأساة . وايا كان الامر ، فانى سأسرد الحقائق كما اذكرها ..

اذكر أولا هذه الحادثة التى دارت بينى وبين كارولين قبل المأساة ببضعة أسابيع ، اى عند ماقامت الزا جرير بزيارة أمياس فى قصره اول مرة . وكانت كارولين تعرف عن يقين مدى حبى لها واستعدادى للتضحية بشأنها ، وانتهاز كل فرصة لخدمتها والتسرية عنهـا وتخفيف احزانها . وقد دهشت حين سالتنى فجاة هل أعتقد أن أمياس يحب تلك الفتاة حقا ، فقلت :

« أعتقد انه مهتم فقط برسم لوحة فنية لها »

« لا .. لا .. بل انه يهيم بها غراما »

« انها جميلة وجذابة .. هذا صحيح .. ولكننى أعرف ياكارولين أن أمياس ، برغم علاقاته المتعددة بالنساء ، لا يحب أحدا غيرك .. أنت فقط ياكارولين التى تملئين قلبه وحياته »

« هذا ماكنت اعتقده دائما .. »

« وحتى الآن .. »

فهزت راسها وقالت :

« ولكننى خائفة يامرديث هذه المرة . نعم خائفة ... ان الفتاة

تحب امياس حبا حقيقيا .. هذا ما اشعر به ، وانها لشابة متفانية في الحب . ويبدو انه الحب الاول الحقيقي في حياتها . ولهذا اشعر ان الامر ، هذه المرة ، جد وخطير .. »

ثم أردفت قائلة : « انني في الرابعة والثلاثين من عمري ياميرديث، وقد تزوجت بامياس منذ عشرة أعوام .. ولكنني لا اكاد اذكر — من ناحية الجمال والجاذبية — مع هذه الفتاة التي تتمتع بكل شيء .. بالشباب والجمال والمال والعاطفة الثائرة .. »

فقلت لها : « ولكن امياس ، مع هذا ، لا يطيق الحيـــاة بدونك يا كارولين ؟ »

فقالت وهي ترسل ضحكة خفيفة مريرة :

« هل يمكن لاية امراة ان تثق دائما في اي رجل ؟ ! انني ياميرديث امراة بدائية ، واتمنى لو استطعت ان ابقر بطن هذه الفتاة .. »

فقلت لها : « ان الامر كله لن يعدو أن يكون نزوة عابرة بين أمياس والزا .. وان كلا منهما لن يلبث أن يفتح عينيه على حقائق الحياة ، وأن يبتعد في النهاية عن الآخر .. »

وحولت هي مجرى الحديث .. ولم تلبث الزا بعد تلك الزيارة الاولى أن عادت الى العاصمة ، ولحق امياس بها حيث قضى معهـــا في العاصمة بضعة اسـابيع ، ثم نسيت انا تقريبا كل شيء عن الموضوع الى ان سمعت ان الزا عادت مرة اخرى للاقامة مع امياس في قصر الدربري ، وذلك لكي يفرغ من رسم اللوحة التي بداها اثنـــاء زيارتها الاولى . واذكر اني حدثتك بما دار بيني وبين امياس ، ثم الزا من حديث في هذا الموضوع ، ولكنني لم استطع ان اتبـادل الحديث على انفراد مع كارولين الا فترة وجيزة ، وذلك حين قالت لي ان كل شيء بالنسبة لها قد انتهى .. وانها هي قد انتهت ايضا .. ولهذا اعتقد تماما انها اختلست كمية من سم الكونين بعد محاضرتي الحمقاء عنه ، لا لتقتل به احدا ، وانما لتنتحر به ، ولكن يبدو لي أن امياس اكتشف هذه الحقيقة .. اكتشف أن زوجته استولت على كمية من مخدر سام لتنتحر ، فاستيقظ ضميره ، وقرر أن ينتحر هو بدلا منها .. لماذا ؟ لانه رأى نفسه بين أمرين احلاهما مر .. فهو لا يستطيع الحياة بدون الزا بعد أن تمكن حبها من قلبه ، ثم هو لن يستطيع أن يهجر زوجته حتى لا يدفعها الى الانتحار بعد ان رأى

بنفسه عزمها عليه ، فماذا يفعل ؟ ! لم يكن امامه الا ان يريح نفسه بالموت... ولكنه لم ينتحر الا بعد ان فرغ أو كاد من رسم اللوحةالتى كان يهتم بها فى ساعاته الاخيرة اشد الاهتمام

وانا اعترف طبعا ان فى هذه النظرية ثغرات كثيرة .. فمثلا لماذا لم نجدعلى زجاجة الكونين فى غرفة نوم كارولين غيربصمات اصابعها ؟ هل يمكن أن تكون بصمات امياس قد ازيلت بسبب وضع الزجاجة بين الملابس القديمة ، ثم ارتسمت بصمات اصابع كارولين عليها حين اسرعت بعد وفاة امياس لترى ماذا حل بالزجاجة ؟ .. ربما ..

ولعل موقف كارولين اثناء المحـــاكمة يؤيد نظريتى هذه بعض التأييد .. فقد ادركت انها هى التى دفعت بزوجها الى الانتحار ، وانها هى التى اعدت له المادة السامة التى انتحر بها ، ومن ثم قررت أن تدفع الثمن ، وأن تلحق به ..

اما عن مشاعرى وتصرفاتى الخاصة ، فاقول انى نمت مضطربا بعد انصراف الجميع عقب تناولهم الشاى فى بيتى .. نمت مضطربا بعد ان حاولت ان افكر فى وسيلة او فى أخرى انقذ بها الموقف بين كريل وزوجته . واستيقظت فى الصباح الباكر فى نحو السادسة ، وشربت الشاى ؛ ولكنى وجدت رأسى ثقيلة بسبب اضطراب نومى ، فنمت مرة اخرى حتى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وعندئذ شعرت كأن شخصا يتحرك فى الغرفة التى تقع أسفل غرفتى مباشرة .. وهى غرفة المعمل .. واستطيع القول هنا ان هذه الحركة قد تكون ناتجة عن دخول قطة الى المعمل ، لانى حين ارتديت ملابسى وهبطت الى غرفة المعمل وفتحت بابها بمفتاحى الخاص ، وجدت انى اهملت فى اليوم السابق اغلاق النافذة كما ينبغى .. ومصراع النافذة كما تعلم من النوع الذى يرتفع وينخفض عند الفتح والغلق .. وقد وجدت ثمة فتحة فى النافذة تكفى لادخال قطة .. وفيما انا اطوف بنظراتى فى جوانب المعـــمل ، لاحظت ان زجاجة الكونين بارزة قليلا عن صف الزجاجات فوق الرف ، فلمـــا رفعت يدى لاعيدها الى مكانها ، رايت ، لفزعى ، أن الكميـــــة التى بها اقل من النصف ، رغم انها كانت فى اليوم السابق ممتلئة تماما ، وشعرت أولا بالاضطراب ، ثم بالخوف ، ثم بالفزع .. ورحت استجوب الخدم فى عناية ، ولكنى ايقنت ان احدا منهم لم يدخل غرفة المعمل ..

واخيرا اتصلت تليفونيا بأخي فيليب أساله النصيحة ، فطلب مني أن أسرع اليه لاتبادل معه الحديث في هذا الامر الخطر .. وفيما انا في طريقي الى الخليج لاستقل الزورق ، رأيت مس وليامز تبحث عن تلميذتها انجيلا الهاربة منها .. والتقيت بفيليب في الجانب الاخر من الخليج ، وسرت معه صاعدين في الممر المتمرج الى القصر ، وفيما نحن نسير بجانب سياج حديقة البحر ، سمعت امياس وكارولين يتبادلان الحديث بصوت مرتفع ، وكأنهما يتشاجران ، وقد فهمت من العبارات الاخيرة أن كارولين تتهمه بالقسوة على الفتاة ، وانه يؤكد لها أن كل شيء قد انتهى ، وانها لابد ان ترحل ، وفجأة فتح باب الحديقة واقبلت كارولين مضطربة ، ولكنها ابتسمت حين رأتنا وقالت انها كانت تتناقش مع امياس بخصوص انجيلا والحاقها بالمدرسة . وفي تلك اللحظة اقبلت الزا من ناحية القصر ممسكة بمعطف من الصوف الاحمر ، فهتف بها امياس لكي تسرع وتجلس في مكانها حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وواصلنا نحن السير في طريقنا الى القصر

◻

وجلست مع فيليب في الشرفة الكبيرة نتبادل الحديث في موضوع السم المختفي ، ثم اقبلت انجيلا تحمل الينا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، فسألتها عن السبب في هروبها من مس وليامز ، فقالت انها كانت تسبح ، وانها لاتجد سببا يدفعها الى خياطة جونلتها القديمة مادامت ستظفر بملابس جديدة عند التحاقها بالمدرسة . ورأينا كارولين وهي تحمل زجاجة بيرة مثلجة الى زوجها ، ثم ذهب فيليب مع انجيلا السباحة ، ولما بقيت بمفردي ، نهضت وسرت الى الهضبة الصغيرة التي تشرف على حديقة البحر ، وجلست على مقعد خشبي مستطيل اتسلى بالنظر — من بعيد — الى امياس وهو يرسم الخطوط الاخيرة لالزا التي كانت جالسة على سور الحديقة في الوضع المناسب .. وكانت تضع على كتفيها المعطف الصوفي الاحمر لتحتمي به من هواء البحر البارد ، وكان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب ، وصوتها ينساب رنانا بالبهجة وهي تتبادل الحديث مع امياس عن المستقبل الباسم الذي ينتظرهما معا ..

وارجو الا يخطر ببال احد انى كنت استرق السمع .. لا .. فقد كانت الزا تراني من مكانها ، وقد لوحت لى بذراعها قائلة ان امياس شديد القسوة عليها فى هذا الصباح ، وانه يرفض ان يتيح لها فترة للراحة من البقاء على هذا الوضع ساعات متواصلة .. ودمدم امياس قائلا انه أيضا يشعر بتيبس فى عضلاته ، وانه يخشى أن يكون قد أصيب بروماتزم عضلى ، فداعبته الزا بقولها : « ياللك من رجل عجوز مريض » ورد عليها بقوله « انك ستتزوجين من رجل مقيد بالروماتزم »

وقد امضنى وصدمنى حديثهما هذا المرح عن مستقبلهما ، دون ان يهتما فى قليل او كثير بآلام كارولين واحزانها .. ولكنى لم اتح باللائمة على الزا .. فقد كانت طفلة .. فى نحو العشرين من عمرها . خافقة القلب بالحب ، سعيدة بالحياة ، مفتونة بسحر جمالها ، غير مدركة بحقيقة الموقف او بقسوة الآلام التى تسببها للغير .. انها فى الواقع لم تكن ترى فى الوجود احدا غيرها وغير امياس ..

وكان الحديث بينها وبين امياس متباعد الفترات .. فبعد كل خمس أو عشر دقائق تتحدث بشيء ، فيرد عليها ، فمثلا قالت له : « اعتقد انك محق فى رايك عن اسبانيا .. نعم .. انها خير مكان شاعرى لقضاء شهر العسل .. ولكن لاتنس أن تأخذنى وتفرجنى على حفلة من حفلات مصارعة الثيران .. لاشك ان مثل هذه الحفلات مثيرة للمشاعر ، وانا أرجو الا يموت الثور فى الحفلة التى ساحضرها ، وانما الميتادور .. وانى لافهم الآن كيف كانت مشاعر نساء روما القديمة وهن يرين المصارعين يموتون .. فان الرجال كثيرون ، ولكن الحيوانات المدربة قليلة .. »

واعتقد انها هي نفسها كانت كحيوان جميل .. بدائى المشاعر ، قليل التجارب ، عديم التفكير .. نعم .. كنت أعتقد انها لم تكن تعرف كيف تفكر .. وانما تعرف كيف تشعر فقط ..

ودق جرس الغداء ، فهبطت من الهضبة والتقيت بالزا عند باب الحديقة ، وكان امياس متهالكا على المقعد المستطيل بجانب لوحة الرسم ، فظننته : كالمعتاد ، يستريح او يستلهم الوحى . اذ انى كثيرا ما رايته على مثل هذه الحال .. وقد قالت لى الزا حين نظرت اليها مستفسرة «انه لن يذهب معنا لتناول الغداء» فقلت فى نفسى

«خيرافمل» وكان هو ينظر الى نظرات غريبة عجيبة كانما يريد ان يقول شيئا ولكنه لا يستطيع ، ولم اكن ادرى ان المسكين فى تلك اللحظة كان يحتضر ، وان الشلل كان يسرى فى كل عضلات جسمه حتى لسانه .. وهكذا تركته مع الزا ونحن نظن انه بخير ، وانه لن يلبث ان ينهض ويستأنف العمل فى اللوحة .. وكانت الزا المسكينة تثرثر معى وتضحك وهى لا تدرى انها لن ترى حبيبها مرة اخرى الا جثة هامدة

وكانت كارولين طبيعية هادئة اثناء تناول الغداء وبعده .. وهذا ما يجعلنى شديد الثقة ببراءتها .. فلا اظن انه يوجد فى الدنيا امراة تستطيع ان تبدو بمثل هذا الهدوء والثبات وهى تعلم ان زوجها يحتضر بالسم الذى دسته له .. لا .. هذا فى رايى مستحيل

ولما اكتشفت بنفسها الوفاة ، بدت لى كانها ذاهلة من فرط الصدمة .. اما الزا ، فكانت كالوحش الثائر الذى اختطفت منه طعامه وهو اشد مايكون جوعا .. وقد كادت ان تفتك بكارولين بعد ان اتهمتها بقتل امياس لولا ان تدخلَ فيليب فى الامر ، كما قال لى ، وتعاون مع مس ويليامز على تهدئة ثائرتها

واذكر ان كل ماحدث بعد ذلك كان كالكابوس المزعج الرهيب .. فقد جاء الطبيب ، ثم رجال البوليس ، ثم مندوبو الصحف والمصورون واصبح المكان كخلية نحل هاجمتها اسراب من « الدبابير »

نعم .. كان كل شىء بعد ذلك مثل كابوس رهيب ..

واعتقد ان هذا الكابوس لا يزال مخيما على حياتنا رغم مرور كل هذه الاعوام ..

اننى اسأل الله ان يحقق لكارلا الصغيرة املها فى الوصول الى الحقيقة الكاملة ، فانها سوف تنسى كل شىء حين يطمئن قلبها الى حقيقة ماحدث

اما انا ، فلا زلت اعتقد ان امياس مات منتحرا ، ولا تسالنى لماذا ... فان كثيرا من الناس يرتكبون اشياء لم تكن متوقعة منهم .

الفصل العاشر

قصة غرام

... وهذه هي رواية الليدي دنتشام :

لسوف اذكر هنا القصة كاملة من بدايتها ... منذ ان التقيت بامياس كريل لاول مرة الى نهايتها المفجعة

رايته اول مرة في حفلة فنية باحد المعارض .. كان واقفا بجانب النافذة .. ورايته وانا ادخل من الباب .. وسألت احدهم من يكون هذا ، فقال : « انه الرسام كريل » فقلت فورا : « انني اريد ان اتعرف به .. »

وتعرفت به .. وتحدثت معه نحو عشر دقائق .. ولست ادرى على وجه التحديد كيف كانت مشاعري في تلك اللحظات .. ولكن يكفي ان اقول : «ان كل شيء بدا في عيني صغيرا ضئيلا بجانب امياس » لقد ملأ هو افق حياتي ، فلم اعد ارى احدا غيره .. وبعد هذه المقابلة مباشرة ، ذهبت لتفرج على جميع لوحاته المعروضة في بوند ستريت ، وفي متاحف لندن ومدينة ليدز .. وتقابلت معه مرة اخرى ، وقلت له : « لقد شاهدت جميع لوحاتك .. واعتقد انها رائعة »

فنظر الي في ابتسام خفيف وقال :

« ومن قال انك تصلحين للحكم على اللوحات الفنية .. اكبر ظني انك لا تفهمين شيئا من فن الرسم »

« ربما .. ولكن هذا لا يمنع من اعجابي الشديد بها »

« لا تكوني حمقاء متهورة في احكامك »

« انني لست كما تظن ، أريد أن ترسمني بريشتك »

« لو كنت تفهمين شيئا في الفن ، لادركت انني لا ارسم لوحات

الفتيات الجميلات ، ان أساس رسومي كلها هي الفكرة لا الاشخاص »
« ارسمني على اني فكرة ، وما اظن اني فتاة جميلة »
فنظر الي برهة وكأنما يراني لاول مرة ثم قال :
« نعم ، اعتقد انك على صواب »
« هل سترسمني اذن ؟ »
« يبدو لي انك طفلة عجيبة ، اليس كذلك ؟ »
« انني طفلة موفورة الثراء كما تعلم .. واستطيع ان ادفع لك ما تريد من أجر »
« لماذا تتلهفين الى هذا الحد لكي أرسمك ؟ »
« لاني اريد هذا »
« أهذا سببه معقول ؟ »
« لقد تعودت دائما أن اظفر بما أريد »
« اوه ... يا لك من طفلة حمقاء ؟ »
« هل سترسمني اذن ؟ »
فأمسك بكتفي في شيء من العنف ، وراح يمعن النظر الى وجهي وشعري وصدري ، ثم قال :
« نعم ، ساجعل منك لوحة فنية ، مهرجانا للالوان »
« اذن سترسمني ؟ »
« نعم .. سأرسم اروع واجمل وابهى الالوان الضاحكة ، النابضة ، المتوثبة ، التي تصور الجمال ، والشباب ، وافراح الحياة »
« اتفقنا »
« ولكني احذرك يا الزا جرير ... انني عادة اقع في حب التي ارسمها »
« اتمنى أن تفعل »
فلهثت انفاسه ، ونظر الي في دهشة ، وقد بدا الحب فصلا يطل من عينيه في تلك اللحظة .. هكذا ، ببساطة ، جمع الحب بيننا باقوى رباط
والتقينا مرة اخرى بعد يوم او اثنين ، وطلب مني ان اذهب معه الى قصره في آلدربري لانه يريد أن يرسمني في وضع خاص ، وفي اطار معين تجتمع معه كل ما في الطبيعة من الوان وبهاء ، ثم قال :

« انني رجل متزوج كما تعرفين ، واحب زوجتي أشد الحب »
« اذن لا شك انها جميلة ولطيفة ما دمت تحبها هكذا »
« جدا .. والواقع انني اقدس التراب الذى تسير عليه ، ويجب ان تفهمي هذا تماما »
« حسنا .. فهمت »
وبدأ اللوحة بعد اسبوع ، وقد استقبلتني كارولين في أول الامر بحماس وترحاب ومودة ، ولكن في شيء من التحفظ الخفي .. واعتقد انه لم يكن هنالك ما يدعو الى خوفها مني ، فان امياس لم يحاول أن يقول لي شيئا لا يستطيع ان يقوله امام زوجته .. وكنت أنا اعاملها بادب ورقة وتهذيب .. ولكننا ، في أعماق نفوسنا ، كنا نشعر بالقدر المتربص لنا
وكان علي ، بعدعشرة أيام قضيتها في تلك الزيارة الاولى أن اعود الى لندن ، فقلت له :
« انك لم تفرغ من رسم اللوحة بعد ؟ »
« انني في الواقع لم ابدأها بعد »
« لماذا ؟ »
« انت تعرفين السبب يا الزا ، ولهذا يجب أن ترحلي حتى تهدأ مشاعري ، فانني لا أستطيع أن افكر في الرسم ، بل لا استطيع ان افكر في شيء آخر ... غيرك »
وكنا في حديقة البحر عندئذ .. وكان الجو دافئا صافيا زاخـرا باغاريد الطيور ، مفعمـا بأريج الزهور . وكان ينبغي أن نشـعر بالسعادة ، ولكننا لم نكن نشعر الا .. بالقلق .. وكأنما كانت أرواحنا تدرك المصير المنتظر !
وكنت اعرف انه لا فائدة من عودتي الى لندن ، ولكني ، مع هذا ، قلت :
« حسنا .. سابتعد عنك اذا كان هذا يرضيك »
« انك فتاة رائعة ... »
وعدت الى لندن ، ولم أكتب اليه ..
وصبر هو عشرة أيام .. ولشد ما دهشت وصدمت حين رأيت حالته اليائسة ، وتحول جسمه أثناء هذه الايام العشرة من الفراق وقد قال لي حين رآني :

« لقد حضرتك يا الزا .. فلا تلوميني .. »

« انني لا الومك .. ولكنني سأفتح ذراعي لك .. فقد كنت في انتظارك .. وكنت اعرف انك آت الي »

فتأوه وقال : « هناك اشياء اقوى من كل ارادة انسانية .. لم يكن في مقدوري ان آكل أو انام او استريح لفرط شوقي اليك ولهفتي عليك »

فقلت له انني اعرف هذا ، لان هـذا هو نفس شعوري منذ رايته اول مرة ، فقال :

« كانك لم تحاولي ان تقاومي هذا الشعور كما قاومته »

« ولماذا اقاومه وهو اجمل شعور احسست به في حياتي ؟ »

« لو لم تكوني صغيرة الى هـذا الحد »

« ولكن قلبي ليس صغيرا .. »

وقضينا معا بضعة اسابيع .. واعتقـد انني عاجزة تماما عن وصف السعادة التي كانت تملأ قلوبنا في تلك الاسابيع .. انهـا لم تكن سعادة ، وانما كانت شيئا اعمق واضخم ..

ولكن امياس كان يشعر بالقلق من اجل الصوره .. وفي نهاية تلك الاسابيع قال :

« انني لم استطع ان استمر في رسمك .. بسبب اضطراب مشاعري نحوك .. اما الآن .. اما وقد عشت معك كل هـذه الاسابيع وتشربت روحي من رحيق جمالك وشبابك ، فاني اشعر تماما بأني سأرسم صورة لم يشهد لها عالم الفن مثيلا .. انني الآن اكاد اموت شوقا الى استئناف الرسم .. هناك .. ستجلسين على سور الحديقة .. وحولك زرقة السماء ، وخضرة الاشجار ، وكأنك رمز للنصر .. »

ثم اردف يقول :

« المهم الآن أن افرغ من الصورة في جو هادىء ، وبعد ذلك سأخبر كارولين بكل شيء ، ثم نتفق على حل للمشكلة »

« اتعتقد أن كارولين ستمانع في الطلاق منك »

« لا اظن . ولكن ، من يدري ؟ ! »

« اذا كانت تحبك .. ، فيجب أن تعمل على اسعادك ولو على حساب آلامها .. »

« هذه كلمات تقال فى الكتب والروايات .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. ان للطبيعة الانسانية مخالب وانيابا .. فلا تغفلى عن هذا .. »

« ولكننا نعيش فى عصر متحضر .. والناس المتحضرون لا يستخدمون مخالبهم وانيابهم لتحقيق اغراضهم »

فضحك وقال : « ولكنها ستتعلم .. فهل تعلمين يا الزا معنى عذاب الزوجة المهجورة ؟ »

فقلت : « اذن .. فلا تخبرها .. لا تصارحها بما بيننا .. ولا داعي لان تستمر علاقتنا الى ابعد من هذا »

« لا لا .. هذا مستحيل ايضا .. انك لى يا الزا .. لى أمام الدنيا كلها .. لن يفرق بيننا احد »

« لنفرض انها رفضت الطلاق ؟ »

« انني لست خائفا من هذا »

« اذن مم تخاف ..؟ »

« انني لا ادرى على وجه التحديد .. »

ارايت ؟ ! لقد كان خائفا منها .. كان يعرف حقيقة نفسها البدائية .. كان يدرك انها امراة ذات مخالب وانياب .. آه .. لو انني ادركت يومذاك ما كان يجول بفكره ..

وعدنا مرة اخرى الى آلدربرى .. ولكن الجو فى هذه المرة كان مكهربا .. مشحونا بالشكوك والارتياب والعداء الخفى ، والغيرة العمياء .. ولم أرض عن هذا الجو بطبيعة الحال .. فقد عشت عمرى كله اكره النفاق ، والمراوغة ، والتخفى .. وقد الححت على امياس كثيرا لكى نصارحها ، ولكنه كان يصر على الرفض

ولكن الطريف فى الموضوع كله انه لم يكن هو مهتما بهذا الامر .. وانما كان اهتمامه مركزا على اللوحة التى يعمل فيها .. فرغم انه كان ميالا لكارولين وكارها لأيلامها ، فقد تركها تعانى عذاب الشكوك وراح يعمل فى اللوحة كالمجنون .. وانا لم ار من قبل فنانا وهو يعمل ، ولكنى حين رايته أثناء العمل ، ادركت فورا انه فنان اصيل . فنان ملهم .. وهكذا كان مستغرقا فى فنه ، محلقا به بعيدا عن مشاكل الحياة الدائرة حوله ، المطبقة عليه .. ولكن الموقف بالنسبة لى كان يختلف .. كان موقفى حرجا اشد ما يكون الحرج..

كانت كارولين تكرهني ، وتخزني بعبارات ملتوية ، تبدو بريئة في ظاهرها قاطعة كالسكين في حقيقتها .. ولها العذر .. وهكذا رأيت أن خير وسيلة لتخفيف حرج موقفي ، هي أن أواجه الامر في صراحة وصدق .. ولما اخبرت امياس برأيي هذا ، قال :

« اللعنة على الصراحة والصدق .. انني أريد أولا أن أتم رسم اللوحة في هدوء ... »

ورغم فهمي لموقفه ، فقد ابى هو أن يفهم موقفي ..

ولم أستطع أن أحتمل الامر طويلا .. فقد حدث أن تحدثت كارولين عن رحلة ستقوم بها مع اميـــــاس في الصيف التالي الى النرويج .. وكانت تتحدث بلهجة الواثقة من نفسها ومن زوجها .. وغضبت .. غضبت لجو الخداع والنفاق الذي تعيش فيه .. ومن ثم صارحتها بالحقيقة .. ولم يستطع امياس الا أن يؤيدني وينصرني عليها .. ثم ذهبنا جميعا لشرب الشاي في منزل ميرديث ، وهنـــاك رأيتها بعيني وهي تختلس كمية من سم السكونين من المعمل .. وقد خطر لي حينئذ انها ستنتحر به

▭

وفي صباح اليوم التالي ، سمعتها تتشاجر مع امياس في غرفـــة المكتبة .. وكنت جالسة في الشرفة تحت نافذة الغرفة مباشرة .. وقد بدأ هو حديثه راجيا أن تكون عاقلة ، وأن ترضى بالامر الواقع ، وأن تتأكد بأنه سيرعى مستقبلها ومستقبل طفلتهما .. ولكنها أبت الا أن تثور عليه ، فهتف بها غاضبا : « ليس هناك مفر من زواجي بالزا .. سواء رضيت أم أبيت .. لن يمنعني من الزواج بها شيء فما نحن بأول زوجين يفترقان بالطلاق .. »

فقالت له كارولين عندئذ :

« افعل ما تريد ... فقد حذرتك »

« ماذا تعنين يا كارولين ؟ »

« أعني انك لي ... لي وحدي ، واني أفضل أن أراك ميتا على أن أسمح لامرأة أخرى أن تظفر بك .. واذا تماديت هكذا مع نسائك فسوف أقتلك يوما »

وبعد برهة ، رأيت فيليب بليك يقبل الى الشرفة ، فنهضت اليه حتى لا يسمع ما يجري في غرفة المكتبة

وبعد ذلك اقبل امياس مضطرم الوجه ، وطلب منى ان أذهب معه لكى يفرغ من رسم اللوحة ، فذهبنا الى حديقة البحر .. ولم يقل هو شيئا اكثر من ان كارولين ثائرة عليه ، ولكنه لا يريد ان يتحدث عن هذا الموضوع حتى يفرغ من اللوحة .. واذكر انه قال لى بالحرف الواحد :

« ان اللوحة هى اهم شىء فى حياتى الآن .. وسوف تكون اروع عمل فنى قمت به .. ولن اتراجع عن اتمامها حتى لو دفعت فيهـا كل هذا الثمن من الدموع والدماء »

وبعد نحو ساعة ، غادرت حديقة البحر لآتى بمعطفى الصـوفى الاحمر لأضمه على كتفى ، اذ كان هواء البحر يهب على جسمى ، باردا ... ولما عدت الى الحديقة ، وجدت كارولين هناك ، ولعلها كانت تبذل محاولة اخيرة لاقناع امياس بخطئه نحوها .. وكذلك كان معهما فيليب وميرديث بليك .. وعندئذ قال امياس انه فى حاجة الى بيرة مثلجة ، لأن البيرة الموضوعة فى الحديقة سـاخنـة ورديئة المذاق ، فوعدته كارولين بارسال زجاجة بيرة مثلجة من القصر ، وكانت تتحدث بطريقة هادئة ، تدل على قوة أعصـابها ، وبراعتها فى التمثيل .. ولا شك فى هذا .. فقد قررت فى تلك اللحظة ان تاتى بالبيرة المثلجة ... السامة !

واحضرت الزجاجة بعد عشر دقائق ، وكان امياس مشـغولا بالرسم .. وملأت له الكأس ووضعتها بجانبه .. ولم يكن احدنا يراقبها وهى تفعل هذا .. فقد كان امياس منهمكا فى عمله ، وكنت انا حريصة على البقاء فى الوضع المطلوب منى

وشرب امياس الكأس ، وبدا على وجهه الامتعاض الشديد ، وقال ان للبيرة مذاقا مرا ، ولكن هذه الكأس ، على كل حال ، باردة منعشة .. والعجيب اننى ، حتى هـذه اللحظة ، لم اشك فى الامر ، فقلت ضاحكة انه يعانى ولا ريب من مرض فى الكبد ..

وبعد اربعين دقيقة تقريبا ، سمعت امياس يشكو من تصلب فى عضلاته ، وقال انه يخشى ان يكون مصابا بروماتزم عضلى ، وكان دائما يسرب عن خوفه من المرض ، فداعبته قائلة انه رجل عجوز ، وداعبنى قائلا اننى سأتزوج من رجل عجوز وقعيد بالروماتيزم ، واخيرا دق جرس الغداء ، فتهالك جالسا على المقعـد الخشبى

المستطيل وقال انه لن يتناول الغداء حتى يفرغ من رسم اللوحة ، واقبل ميرديث الى باب الحديقة ، فذهبت معه الى القصر لاتناول الغداء تاركة امياس يموت وانا لا ادرى .. انتى لم ار فى حياتى رجلا يحتضر .. وقد ظننته راقدا ، كعادته ، يستريح .. وآه لو كنت أعلم الحقيقة .. اذن لاستدعيت طبيبا فى الحال ، ولكان من الممكن انقاذه .. ولكن ما فائدة الندم ؟

وبعد طعام الغداء ، وشرب القهوة فى الشرفة ، ذهبت كارولين مع مس ويليامز ، ذهبت لتكتشف جثة زوجها الذى قتلته بيديها .. وعندما علمت بالكارثة ادركت فورا انها هى القاتلة .. وقد ظننت لاول وهلة انها لم تقتله بالسم ، وانما ذهبت وطعنته بسكين أو برصاصة مسدس

وكنت أريد أن انشب اظافرى فى عنقها

كيف طاوعتها نفسها على قتله .. كيف رضيته ان تنتزع الحياة من رجل كان ينبض بالحياة ويحب الحياة .. كل هذا لكى لا اظفر به دونها .. امرأة رهيبة .. امرأة لعينة حقيرة متوحشة .. انى اكرهها .. امقتها .. احقد عليها .. انهم لم يشنقوها .. وكان يجب ان يفعلوا .. بل ان الشنق كان اقل ما يجب لعقابها .. لشد ما امقتها حتى الآن ..



الفصل الحادى عشر

المربية العجوز

وهذه قصة المربية العجوز :

اسمى سيسليا ويليامز .. التحقت بالعمل لدى مسز كريل لاقوم بتربية مس انجيلاواربن والتدريس لها ، وكنت يومئذاك فى الخامسة والاربعين من عمرى ..

وبدات العمل فى قصر آلدربرى ، وكان قصرا جميلا تحيط به مزرعة لطيفة ، وكانت المزرعة من املاك اسرة كريل منذ أجيال عديدة .. وكان سكان القصر مكونين من مستر ومسز كريل،وابنتهما كارلا التى كانت عند جدتها اثناء وقوع المأساة ، وانجيلا وارين ، وكانت يوم التحاقى بالعمل صبية فى الثالثة عشرة من عمرها ، وثلاث خادمات علمت انهن نشأن منذ طفولتهن فى خدمة آل كريل

وقد وجدت تلميذتى فتاة ذكية ، قادرة على فهم ما يلقى اليها من دروس ، لطيفة خفيفة الظل ، ولكنها عنيدة مدللة بسببإسراف مسز كريل فى حبها والعناية بها ..

اما المستر كريل ، فقد ادركت ، منذ اللحظة الاولى ، انه رجل هوائى، متقلب ، دموى المزاج ، ولست ادرى كيف استطاعت زوجته أن تحتمل الحياة معه ، رغم خياناته المتكررة لها ، كل هذه السنوات

ورايت مس الزا جرير عند زيارتها الاولى فى أول الصيف ، وكان واضحا لكل ذى عينين ان ثمة علاقة حب بينها وبين كريل ، وان مسألة رسم اللوحة ليست الا ستارا لاقامة الفتاة مع كريل فى قصر آلدربرى

وليس أدل على ذلك من ان كريل لم يرسم شيئا فى اللوحة اثناء

زيارتها الاولى ، ولا شك انه كان هناك ما يشغلهما فى حديقة القصر من مهمة الرسم !

ولكن تلميذتى انجيلا ، والحمد لله ، لم تلحظ شيئا من هذا كله ، فقد كانت من ناحية الانوثة ، اقل كثيرا من سنها ، ولم يكن يهمها الا اللعب والمرح والدعابات والقراءة ..

اما الزا جرير ، فكانت فتاة تافهة التفكير ، سوقية الطباع ، لا يهمها فى الحياة الا مظهرها امام الناس واعجاب الرجال بها

واعتقد ان مسز كريل كانت تبذل كل جهدها لتخفى آلامها النفسية عن انجيلا حتى لا تظلل سعادة الفتاة الصغيرة باى ظل من الالم والتعاسة ..

وعادت الزا جرير الى لندن .. وشعرنا حينئذ كأن كابوسا ثقيلا قد ازيح من اكتافنا ، فقد كنا جميعا ، حتى الخدم ، نشعربالكراهية لها .. اذ كانت من الاشخاص الذين يطالبون بالكثير دون ان يكلفوا انفسهم القاء كلمة شكر

وسافر المستر كريل بعدها ببضعة ايام .. وقد شعرت بالالم من اجل مسز كريل .. فقد كانت المسكينة تتعذب فى صمت من تصرفاته زوجها ، ولكننا ، هى وانا ، رجونا ان يعود امياس من لندن وقد نفض يديه من هذا الحب الجديد ..

ولكنه ، للاسف ، عاد معها .. مع الزا .. وبدأ يرسم اللوحة فى حماس جنونى ، ولكنى مع هذا ادركت ان علاقته بهذه الفتاة لن تكون كنزواته السابقة مع النساء ..

وبلغت الازمة ذروتها عندما تمادت هذه الفتاة ، الزا ، فى وقاحتها وجرأتها ، وصارحت كارولين بعزمها على الزواج من كريل !

ورغم ان كريل كان غاضبا على صراحتها هذه ، فانه لم يستطع ان ينكر أو يتراجع ، واعلن لزوجته أن ما قالته الزا هو الحقيقة

ولم اشهد فى حياتى موقفا مخجلا كهذا بين زوج وزوجته

لقد تمنيت فى تلك اللحظة ان يعاقب امياس كريل عقابا الهيا ، جزاء ما ارتكبه فى حق زوجة نبيلة كريمة متفانية ..

وبعد هذا المشهد العاصف .. حاولت أن أواسى كارولين ، فقالت لى :

ـــ على كل حال يجب أن نتصرف فى حياتنا كالمعتاد ، وكأن شيئا

لم يحدث .. والدليل على هذا اننا سنذهب لشرب الشاى فى بيت ميرديث بليك حسب الوعد المتفق عليه ..

« اعتقد يامسز كريل انك سيدة رائعة مدهشة »

« الحقيقة ، انك لا تعرفين ... »

ثم غادرت الغرفة ، ولم تلبث أن عادت وقالت :

« انك يامس ويليامز مخلصـــة . لاالتمس من وجـودك بجانبى الراحة والعزاء »

وذهب جميعهم الى منزل المستر ميرديث بليك ، ثم عادوا فى نحو السادسة مساء

ولم استطع الانفراد بمسز كريل فى تلك الليلة .. ولـكنى اذكر انها كانت هادئة اكثر مما كنت أتوقع ، وقد أوت الى فراشـها فى ساعة مبكرة ، لقد كانت تتعذب فى صمت ..

وانتهت جلسة المساء بمشاجرة عنيفة ، مضحكة ، بين انجيـلا واميا س كريل بشأن الحاقها بالمدرسة ، ولم يكن هناك ما يدعو امياس الى اثارة هذا الموضوع بعد ان تمت جميع الترتيبات لذهاب انجيلا الى المدرسة .. وقد بلغ من سخط انجيلا انها القت بثقالة ورق على امياس ، ثم ارسلت عليه وابلا من الدعوات الشريرة ، واندفعت الى غرفة نومها باكية

◻

وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوما جميلا مشرقا ، وجدت ، بعد طعام الافطار ، جونلة انجيلا ملقاة فى غرفتها ، ممزقة فحملتها ورحت ابحث عنها لاجعلها ترتقها ، حتى تتعود على النظام والترتيب وترتق ملابسها بنفسها ، وقد بلغت فى بحثى عنها مزرعة المستر ميرديث بليك ، لانى كنت اعلم ان انجيلا تعودت أن تعبر الخليج بأحـــد الزوارق بمفردها وتذهب الى هناك لتأكل بعض ثمار التفــــاح الناضجة .. ولما عدت دون أن اعثر عليها ، رأيت مسز كـريل مع المستر فيليب والمستر ميرديث فى شرفة القصر ، وكانت مسز كريل تقترح أن ترسل الى الاخوين بعض البيرة المثلجة ، وقد ذهبت مع مسز كريل الى الثلاجة الموضوعة فى غرفة صغيرة بالطابق الاول ، وهناك رأينا انجيلا تتناول من الثلاجة زجاجة بيرة ، وكان يبدو على وجهها انها ارتكبت شيئا .. وقد قالت لها مسز كريل :

اريد زجاجة بيرة مثلوجة لامضي بها الى امياس »

وامسكت انا بانجيلا وعنفتها على هربها مني طوال فترة الصباح ؛ وطلبت منها أن ترتق الجونلة ؛ والعجيب انها استسلمت لتعنيفي في خضوع واستكانة .. ولم تكن هذه طبيعتها .. ولكنها كانت مدركة خطاها ، وكان واضحا على وجهها هذا الادراك

ولما سألتها اين كانت ؟ قالت انها كانت تسبح في الخليج ، فقلت لها انني لم أرها هنـــــاك ، فضحكت وتناولت الجونلة ووعدت باصلاحها فورا ..

وحل موعد الغداء .. ولم يحضره كريل ..

وبعد الطعام وشرب القهوة ، قررت ان اذهب لاستحضار صديرية انجيلا التي تركتها على الشاطىء بعد سباحتها مع المستر فيليب بليك .. وذهبت في الممر مع المسز كريل التي قالت انها ذاهبة لتنظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء .. ولكنني ما كدت اتجاوز باب حديقة البحر ، حتى سمعت صيحتها وهي تناديني ، فأسرعت اليها حيث رأيت امياس جثة هامدة فوق المقعد بجانب حامل الرسم ، وطلبت مني مسز كريل أن استدعي طبيبا ، فغادرت الحديقـة الى الممر مسرعة ، وعندئذ التقيت بمستر ميرديث بليك فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب ، وعدت الى مسز كريل وانا اشعر انها احوج ماتكون الى من يقف بجانبها في تلك اللحظة

تلك هي قصتي ..

ولكن الشيء الذي اخفيه عن الجميـع ، حتى عن مسز كريل نفسها ، هو انني رايتها ، عند عودتي الى الحديقة بعـد ان كلفت ميرديث بليك بمهمة استدعاء الطبيب ، اقول رأيت مســز كريل منهمكة في ازالة بصمات الاصابع بمنديلها عن زجاجة البيرة ، ثم اذا هي تمسك بيد زوجها الميت وتضغط بأصابعه على الزجاجة .. كل هذا وهي متحفزة ، ترهف السمع ، والخوف الشديد يبدو على وجهها

هذه هي الحقيقة التي اخفيتها عن الجميع ، وهـذا هو السبب الذي جعلني أومن تماما بان كارولين قتلت زوجها ، ومع ذلك فاني التمس لها العذر ، واحمل لها في نفسي كل عطف واشفاق ، ويهمني ان تعرف كارلا هذه الحقيقة أيضا ، وذلك لكي تستريح وتنسى المأســاة تماما

الفصل الثاني عشر

انجيلا وارين مرة أخرى

عزيزي المسيو بوارو ..

انني أبر بوعدي لك ، وأكتب اليك بكل ما يتعلق بذاكرتي عن مأساة أختي كارولين وزوجها أمياس . والواقع انني لم أكن أعرف ضآلة ما اذكره الا بعد ان بدأت الكتابة ..

ان ذكريات ذلك الصيف كانت غامضة ..وأحداثه كانت متفرقة .. وقد جاء مقتل أمياس كضربة أصابت حياتي من حيث لا أدري أو أتوقع .. ذلك أني كنت غافلة عما كان يجرى حولي من عواطف وتيارات انسانية خفية ..

ولست أدرى هل فتيات الخامسة عشرة كلهن هكذا .. يعشن لأنفسهن ، ولا يكدن يدرين تماما بما يجرى حولهن من مثل هذه التيارات العاطفية الخفية !

كنت مهتمة فقط باللعب ، والسباحة ، وتسلق الاشجار لاقتطاف الفاكهة ، واطعام الجياد ، وتدبير المقالب للخادمات ، وأحيانا لأمياس كريل نفسه ..

وكنت عدا هذا مشغوفة بقراءة الكتب والروايات والمجلات

ولعلك تسالني عن شعوري نحو كارولين وأمياس في ذلك الحين .. حسنا .. كان شعورا طبيعيا ... كنت أحب أختي كارولين كأعظم ما يكون الحب بين أخت وأخت .. شقيقة أو غير شقيقة ، وكنت أميل الى أمياس .. وأحبه كأخ أكبر .. أو كوالد ، وذلك رغم المشادات العنيفة التي كانت تقع بيننا كلما تمادى في اغاظتي واثارتي

ولكني ، في الوقت نفسه كنت اغار على أختي منه ، وقد ادركت الآن أنه كان أيضا يغار على زوجته مني

وعلى الجملة لم أكن أفكر فيهما أو في علاقتي بهما ·· وانما كنت اشعر بهما كما يشعر الانسان بأهله وذويه

ولما أقبلت الزا في أول زيارة ، لم أحفل بها أو أشغل نفسي بأمرها ·· فقد بدت لى من اللحظة الاولى أنها سوقية ، جاهلة ، بل انى لم أفكر في أنها جميلة ·· وانما كل ما شعرت به نحوها أنها فتاة ثرية مثيرة للملل والنفور

ولم أعرف في الواقع حقيقة العلاقة بينها وبين أمياس الا أثناء زيارتها الثانية ، الطويلة ، للقصر ·· وقد كنت في الشرفة بعد الغداء يوما حين سمعتها تتحدث مع أمياس في غرفة المكتبة عن موضوع زواجها به ··· وقد بدا هذا التصريح عجيبا غريبا ، ومن ثم انتهزت أول فرصة وسألت أمياس كريل في حديقة بيت ميرديث بعد الفراغ من تناول الشاى ، قائلة : « لماذا تقول الزا انها ستتزوج بك ؟ ان هذا مستحيل ، فلا يمكن للرجل أن يتزوج باثنتين ، ان هذا مخالف للقانون والشريعة أليس كذلك ؟ »

فغضب أمياس وقال بحدة : « كيف سمعت هذا بحق الشيطان؟»

« سمعتها وهي تحدثك في غرفة المكتبة »

فازداد غضبا ، وقال ان الأوان قد آن فعلا لالحاقى بالمدرسة، وأنه سيلحقنى بها في أقرب فرصة حتى لا أسترق السمع - فقلت له بغضب انني لم أكن أقصد أن أسترق السمع ، وأنه يتهمنى بهذا ظلما · وأخيرا ابتسم ، وقال ان ماسمعته لايعدو أن يكون دعابة من جانب الزا

وقلت لالزا ونحن في طريق العودة الى المنزل بعد انتهاء زيارتنا للمستر ميرديث بليك : « لقد سألت أمياس عن معنى قولك له انك ستتزوجين به ، فقال ان الامر لايعدو أن يكون دعابة »

وكنت أريد ان أغيظها وأثيرها···ولكنها ابتسمت ، ولم تعجبنى ابتسامتها

وذهبت الى كارولين في غرفتها حيث كانت تستعد للهبوط الى طعام العشاء ، وسألتها هل يمكن أن يتزوج أمياس بالزا ، وانى لأذكر اجابتها الحاسمة الاكيدة وكأنى أسمعها الآن : « ان أمياس لن يتزوج من الزا ، أو من غيرها الا بعد وفاتى »

وهدأت اجابتها هذه من مخاوفى ، وأعادت الاطمئنان الى نفسى

ولكني بقيت ساخطة على أمياس،وهكذا انتهزت فرصةاثارته لموضوع المدرسة ، فتشاجرت معه بعنف ، وصببت على رأسه مجموعة من الدعوات.، ثم اندفعت باكية الى غرفة نومي

ولست اذكر شيئا كثيرا مما حدث في صباح اليوم التالي ، قبل المأساة .. اذكر فقط أني تجولت هنا وهناك ، وسبحت في الخليج ، ولكني أذكر تماما اسراع ميرديث الى الشرفة في اهتيـــاج قائلا ان أمياس مات ، وأذكر انفعال الزا وسقوط قدح القهوة من يدها وهي تطلق صيحة رهيبة ، ثم تعدو بسرعة عجيبة في الممر الى حـديقة البحر ، وكنت أردد لنفسي : « مات أمياس ... مات أمياس » دون أن أشعر بأن ماحدث حقيقة وليس حلما أو خيالا

واذكر أن القصر بعد ذلك ازدحم بأشخاص غرباء كثيرين ، وأنهم رفضوا أن أذهب لأرى أمياس وهو ميت ، ولكني أسرعت الى كارولين في غرفتها حيث كانت راقدة على الاريكة ، ممتقعة ، مريضة ، فلمـا رأتني قبلتني وطلبت مني أن أسرع بالابتعاد عن مسرح المأساة لأن مثل هذه الامور جد رهيبة بالنسبة لفتاة صغيرة مثلي ، ولكني لم أكن مهتمة الا بحالة اختي ، وأخيرا أرسلوني الى حيث كانت تقيم كارلا الصغيرة مع جدتها الليدي تريسليان

ولست أنسى كيف ودعتني كارولين في حب وحنان وهي تطلب مني في رجاء ولهفة الا افكر في الامر ، والا أحزن أو اقلق..وكذلك لست أنسى اسئلة رجال البوليس لي قبل رحيلي .. ولكنهم لم يلحوا في القاء الاسئلة علي .. فقد كانت الجريمة ، بالنسبة اليهم واضحة كل الوضوح ..

وهكذا لم يجد المسئولون سببا يمنعهم من التصريح لي بالذهاب الى الليدي تريسليان للاقامة معها حتى تنتهي المحاكمة

واستقبلتني الليدي تريسليان في حب وعطف واشفاق..وبرغم حرص الجميع على اخفاء الحقيقة عني ، فقد علمت أن رجال البوليس القوا القبض على أختي كارولين ، وأذكر أني مرضت من فرط الفزع والحزن

وسمعت فيما بعد أن أختي كانت ، بعد القبض عليها ، شـديدة القلق بشأني ، وأنها هي التي أصرت على ترحيـلي الى خارج انجلترا قبل المحاكمة ..

وقد أخبرتك بهذا كله

ومرة أخرى أقول انني واثقة تماما بأن أختي لم ترتكب هذه الجريمة ، اقول واثقة ، ولكنني لا أستطيع أن أقدم الدليل المادي على براءتها !

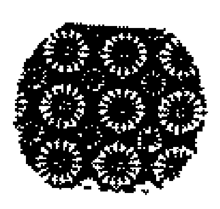
فليرحمها الله ...

▭

والآن ... ما رأي السادة القراء ؟

لقد وضعت المؤلفة بين ايديهم جميع الحقائق والملابسات المحيطة بالجريمة...انها لم تخف عنهم شيئا...فهل يمكن انينتصر بعضهم، او كلهم ، عليها في هذه المباراة الممتعة ويعرفوا الحقيقة التي وصل اليها بوارو ؟

لقد وصل بوارو الى الحقيقة ، بعد حصوله على هذه المعلومات التي وردت في الصفحات السابقة !



الفصل الثالث عشر

وبعد !!

رفعت كارلا لامرشـــانت ، ابنة كارولين وكريل ، رأســـها عن الاوراق الموضوعة أمامها ، التى تحكى مأســاة والديها فى تفصـــيل ووضوح ، ثم قالت بصوت متعب :

ــ لقد ازددت حيرة فوق حيرتى ، فان كل واحد من هؤلاء ينظرالى أمى من زاوية مختلفة ، ولكن الحقائق واحدة ... وكلهم متفقون عليها !

ــ هل ثبطت قراءتك لهذه التقارير من عزيمتك ؟

ــ نعم ... وأنت ؟

ــ لا ... لقد وجدت فى هذه التقارير كل ما أردت العثور عليه

ــ ولكنى اتمنى لو انى لم اقرأها ، فقد اصبحت الآن موقنـــة بادانة أمى

فنظر بوارو اليها برهة ، ثم قال :

ــ أهكذا ؟

ــ نعم ، انهم جميعا يعتقدون أن أمى مدانة ، فيما عدا انجيـلا ، ولها العذر ، فهى أختهـا ، أما ميرديث ، فهو يحاول أن يخفى ادانة أمى على غير جدوى .. وكذلك لم تستطع انجيلا ، رغم ذكائها وقوة تفكيرها ، أن تقدم لنا سببا واحدا يبرر ايمانها ببراءة أمى

ــ أهذا هو ما استقر عليه رأيك بعد قراءة هذه التقارير ؟

ــ نعم ، وليس من شك فى أن هؤلاء الاشخاص الخمسة قداجمعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، على ادانة أمى ، لأنها اذا لم تكن هى

التى ارتكبت الجريمة ، فلا بد أن يكون مرتكبها واحدا منهم

فابتسم بوارو وقال :

ــ آه ... هذا رأى مثير ، وهل يمكن أن توضحيه لى ؟

ــ أستطيع فقط أن أقدم اليك احتمالات لادليل عليها ، فمثلا فيليب بليك : انه سمسار مالى ، وكان من أخلص أصدقاء أبى . ومن المحتمل أن يكون أبى قد اقرضه أو أودع لديه مبلغا ضخما ، والمعروف أن الغنائز مستهترون دائما من الناحية المالية ، ولعل فيليب ، تحت ضغط ظروف طارئة ، كان قد ضيع المال الذى اؤتمن عليه ، ولعله قد جعل أبى يوقع على شيء ، ثم تطورت الاحوال وخشى فيليب من الفضيحة ، التى لا نجاة منها الا بموت أبى ، هذه بعض الافكار التى دارت برأسى عن هذا الاحتمال

واومأ بوارو برأسه وقال :

ــ لا بأس ، والاحتمال الثانى ؟

ــ وهناك الزا جرير ... انها فتاة لا تتورع عن أى شيء ، ولعلها تكون قد اختلست السم لكى تقتل به أمى حين أيقنت أنها لن توافق على الطلاق من أبى بأية حال من الاحوال .. وفتاة مثل الزا لاتقبل أن تعيش على هامش حياة رجل متزوج الى ما لا نهاية .. انها لا ترضى بأقل من الزواج من هذا الرجل الذى تحبه ، ومن ثم فهى لاتكف عن الحديث عن الزواج والمستقبل .. أقول انها اختلست السم لتقتل به أمى ، فكانت النتيجة أن مات أبى بسبب خطأ ارتكبته دون أن تدرى

وابتسم بوارو وقال :

ــ وهذا احتمال لا بأس به أيضا ، والثالث ؟

ــ ميرديث ...

ــ ميرديث بليك ؟

ــ نعم ...

ــ حتى ميرديث بليك أدخلته فى نطاق احتمالاتك ؟

ــ ولم لا ؟ هل يوجد انسان فى هذه الدنيا معصوم من ارتكاب جريمة قتل ؟ انه يبدو لى من النوع الذى لايتردد كثيرا فى ارتكاب

جريمة قتل ٠٠ فهو ضيق التفكير ، محدود الخيال ، بطيء ، متردد ، موضع ضحك وسخرية الغير ، ولعله،في أعماق نفسه،يشعر بالسخط على هذا كله ٠٠ ثم تزوج أبي الفتاة التي كان ميرديث يتمنى الزواج بها ٠٠ ونجح أبي في حياته وظفر بالمال والشهرة ٠٠ وعمد ميرديث للتنفيس عن كبته النفسي الى هـــذه الهواية الخطرة في استخراج العقاقير والسموم من النباتات والاعشـــاب ٠٠ ولعله شغف بهـــذه الهواية لأنه كان يتمنى ، في قرارة نفسه ، أن يقتل شخصا ما ذات يوم ٠٠ ولعله لفت أنظار الجميع الى سرقة السم حتى يبعد عن نفسه كل شبهة ٠٠ ولكن الواقع هو أنه أقرب الناس الى أخذ السم من معمله بنفسه ٠٠ بل لعله أراد ، أيضا ، أن يرسل بأمي الى حبل المشنقة جزاء تفضيلها أبي عليه ٠٠ ولعله كان يقصـــد التعبير عن نفسه في كتابته عن الاشخاص الذين يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة منهم ، وذلك عندما حاول أن يعلل يقينه بأن أبي مات منتحرا ٠٠

ـ انك على صواب في هذه الناحية ٠٠ وهو أنه ليس من المحتم أن يكون كل ما كتبه الواحد منهم حقا لا شائبة فيه ٠٠ فلعل بعضهم عمد الى كتابة أشياء لتضليلنا عن الحقيقة

ـ ان هذا هو أملي الاخير ، الوحيد ٠٠٠ ان كان ثمة مجال للامل بعد هذا كله !

ـ هل هناك احتمالات أخرى ؟

ـ خطر في بالي ان مس ويليامز قد تكون هي القاتلة حتى لاتفقد وظيفتها ٠٠ ولكني استبعد هـذا الاحتمال تماما ٠٠ فاذا كان بعض الناس يفقدون عقولهم ويرتكبون جرائم قتل بسبب قليل من المال، فان مس ويليامز ، كما يبدو لي من حـديثك عنها ، ومن مذكراتها ، ليست بالسيدة التي تهتم بالمال الى حد ارتكاب الجرائم في سبيله ٠٠ لا ٠٠ لم يبق أمامي الا أن أسـتسلم للامر الواقع ٠٠ فان هـــذه الاحتمالات كلها تكاد تكون في حكم المستحيل ٠٠ نعم ٠٠ لقد آمنت الآن ان امي ليست بريئة كما اظن ، وانه لم يبق امامي الا ان افسخ خطبتي

وتهدج صوت كارلا قليلا ، وهي تستطرد قائلة :

ـ نعم ٠٠ لا تتعجب يامسيو بوارو ٠٠ انني لا أستطيع أن أتزوج

وهذا السيف الرهيب مصلت على راسى ٠٠ لا أستطيع أن أحتمل أن ينظر الى الرجل الذى أحبه في شيء من الخوف والحذر اذا تشاجرنا يوما ٠٠ خير لى ، انا الابنة الوحيدة للرسام كريل الذى قتلته زوجته ٠٠ أمى ٠٠ أن أهجر العالم ، واقضى ايامى فى الدير ، استغفر الله لهما ، واقطع ، بموتى ، تسلسل ذريتهما على سطح هذه الارض ٠٠

فنظر اليها بوارو برهة ، ثم قال :

ـ اذن فقد اقتنعت أخيرا بالحقيقة ؟

فازداد صوتها تهدجا وقالت :

ـ نعم ٠٠ وانى مقدرة لك كل ما بذلت من جهد فى هذا السبيل، ولن اضن عليك باى قدر من المال مكافاة لك

فنظر بوارو اليها مرة أخرى ، ثم هز رأسه وقال :

ـ ان مكافأتى الحقيقية هى العمل على تبرئة سيدة مظلومة !

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أنك تريدين أن تخرجى من المعركة فى اللحظة التى وضحت لى فيها الحقيقة كاملة ٠٠

ـ لست أفهم تماما ماذا تعنى يامسيو بوارو ٠٠

ـ أعنى أننى ـ هيركيول بوارو ـ قد عرفت من تحسرياتى مع الاشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، ومن كتاباتهم ، أن والدتك كانت مظلومة !

فهزت كارلا رأسها فى يأس وقالت :

ـ أتقول هذا بعد أن ذكرت مس ويليامز بوضوح أنهـا شاهدت أمى وهى تزيل بصمات أصابعها من زجاجة البيرة ، وتطبع عليهـا بصمات أبى وهو ميت ؟

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ لو أن الذى ذكر هذه الحقيقـة شاهد آخر ، لاتهمته بالكذب ، ولكن مس ويليامز كانت تحب أمى حتى آخر لحظة ، وقد وقفت فى صفها ، وأخفت هذا الدليل الحاسم عن القضاة ، فهل يمكن أن نشك فى أقوالها ؟

فقال بوارو :

ـ انني آخر من يشك في أقوال مس ويليامز في هـذا الشأن بالذات !

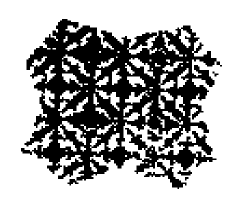
ـ عجبا !..

وعندئذ نهض بوارو وقال :

ـ اسمعي يامس كارلا ، ان رؤية مس ويليامز لأمك ، هي تزيل بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة ، لتطبع عليها بصمات أصابع أبيك ، هي الدليل الحاسم ، الذي جعلني أومن بأن أمك لم ترتكب هذه الجريمة !

ثم غادر الغرفة .

وظلت كارلا واقفة تشيعه بنظراتها في ذهول ودهشة وعجب



الفصل الرابع عشر

بوارو يسأل

ذهب هيركيول بوارو الى فيليب بليك وقال له فى هدوء ورقة :

ـ لقد جئت لاشكر لك ما بذلته من جهد فى كتابة ذكرياتك عن مأساة صديقك امياس كريل ، الواقع انك اوضحت لى كثيرا من النواحى التى كانت غامضة

فقال فيليب ، وهو يشعر بالرضا عن نفسه :

ـ الواقع انى دهشت حين وجدت الذكريات تنهال بسرعة وقوة ، بمجرد أن بدأت الكتابة !

ـ نعم .. نعم .. ولكن هذا لا يمنع من القول انك لم تذكر كل شيء !

فقطب بليك جبينه وقال :

ـ لم اذكر كل شيء ؟

فقال بوارو :

ـ ان روايتك لما حدث تمتاز بالصراحة والوضوح ... ولكن !

ثم أردف بوارو فى صوت لا يخلو من جفاف :

ـ لقد قيل لى يامستر بليك ان مسز كريل شوهدت ، مرة واحدة على الاقل ، وهى تخرج من غرفتك فى ساعة متأخرة من الليل !..

وخيم الصمت على الغرفة ، وراح فيليب بليك ينظر فى حيره وغضب ودهشة الى بوارو ، ثم قال أخيرا :

ـ من قال لك هذا ؟

فهز بوارو راسه وقال :

ــ ليس من المهم ان تعرف من الذى اخبرنى . ولكن المهم هو انني اعرف هذه الحقيقة

ومرة اخرى خيم الصمت ، وبدا فيليب فى سمت الرجل الذى يقرر فى نفسه امرا ، واخيرا قال :

ــ يبدو انك عرفت مسالة خاصة عن طريق المصادفة ، وايا كان الامر ، فانى اجد نفسي مضطرا لان اخبرك بالحقيقة .. الحقيقة التي حاولت اخفاءها من سطور حكايتي

وهز كتفيه ثم أردف قائلا :

ــ انني لا انكر شعورى العدائي نحو كارولين ، ولكني ، فى الوقت نفسه ، كنت مفتونا بها ، ولعل هذه الحقيقة هى التى دفعت بعضهم الى اخبارك بهذا الذى قلته لى الآن ، وهذه الحقيقة ايضا هى التي كانت تجعلني اشعر دائما بالثورة على نفسي وعلى خضوعى لجاذبيتها ، ومن ثم كنت دائما احاول أن اتلمس لها الاخطاء واضخم لها العيوب حتى تصغر فى عيني ، وتخف وطأة سحرها على . وارجو ان تفهم انني لم احبها يوما هذا الحب الروحى المقدس ، وانما كنت مفتونا بجاذبيتها ، وكنت اخشى فى اية لحظة ان اهبط بمشاعرى فاراودها عن نفسي .. وجملة الحقيقة هى انني احببتها وانا فى ميعة الصبا والشباب ، ولكنها لم تكن تبالى بى ، او تشعر بوجودى ، وقد عشت حياتي كلها وانا لا اغفر لها هذا الموقف

وصمت فيليب برهة قبل ان يستطرد قائلا :

ــ وحانت فرصتي عندما استغرق امياس الى اذنيه فى حب هذه الفتاة الزا جرير ، واذا انا اجد نفسي اصارح كارولين بحبى لها ، واذا هى تقول بهدوء : «نعم يافيليب ، لقد كنت اعرف دائما انك تحبني ! » فيالها من امراة رهيبة ، كانت تعرف دائما انى احبها دون أن تحفل بأمرى ، أو تهتم بمشاعرى !

ومرة اخرى صمت فيليب وقد بدت اشد امارات الحقد على وجهه ، ثم استأنف حديثه قائلا :

ــ نعم .. كنت أعرف أنها لم تشعر بالحب نحوى يوما .. ولكني لاحظت بوضوح مبلغ ما كانت تشعر به من قلق وسخط وغضب وثورة بسبب موقف امياس من تلك الفتاة الزا .. واذا استبدت مثل هذه المشاعر بالزوجة فمن السهل التغلب على مقاومتها ..

وهكذا رضيت بزيارتي ليلا فى غرفتي بالقصر .. وجاءت ولكنني ما كدت أحيطها بذراعي حتى تخلصت مني وقالت بهدوئها القاتل انه لا فائدة من هذا كله .. وانها امراة رجل واحد ، امراة اذا احبت رجلا ، فلن تستطيع أن تحب غيره مهما يكن الحال ، وانها ستبقى على حب امياس سواء بقي زوجا لها او تزوج من غيرها . ثم اعترفت انها عاملتنى بقسوة واساءت الى بقبولها الحضور الى غرفتي ، ثم امتناعها على . واعتذرت بانها لا تملك من امر قلبها شيئا ، وطلبت مني أن أصفح عنها ، ثم انصرفت عنى ، فهل تعجب بعد هذا يا مسيو بوارو اذا قلت لك ان كراهيتى لكارولين قد بلغت الذروة ، وانني لم أصفح عنها او اغفر لها هذه الاهانة التى وجهتها الى عواطفي ، هذا عدا قتلها لاخلص صديق الى

وارتعد فيليب فجأة ، وقال بعنف :

ــ انني لا اريد الافاضة فى هذا الحديث ، لقد اجبت على سؤالك، فهلم انصرف عني !

□

وذهب بوارو للمستر ميرديث بليك وقال له :

ــ أرجو يامستر ميرديث بليك أن تذكر لي ترتيب خروج ضيوفك من غرفة المعمل فى ذلك اليوم

فاحتج ميرديث قائلا :

ــ ولكن ، كيف استطيع ان اتذكر هذا يا مسيو بوارو ، بعد مرور ستة عشر عاما ؟ يكفى انى قلت لك ان كارولين كانت آخر من غادر الغرفة

ــ هل انت واثق من هذا ؟

ــ نعم ... على الاقل

ــ هلم تمضى الى غرفة المعمل لتستعيد ذكرياتك ، فاننا نريد أن نتأكد

وهناك فى غرفة المعمل ، قال بوارو :

ــ والآن يا مستر بليك ، لقد حدثت ضيوفك عن هوايتك ، ثم بدأوا ينصرفون . اغمض عينيك وحاول أن تتذكر ترتيب خروجهم

وأطاع ميرديث ، واغمض عينيه ، وتناول بوارو منديل جيبه ، وراح يلوح به أمام وجهه ، وغمغم ميرديث وهو يستنشق الرائحة المنبعثة من المنديل :

ـ نعم .. نعم .. عجيب أن تتضح الذكريات امام ذهني هكذا ، اني اتذكر كارولين ، كانت ترتدي ثوبا في لون القهوة الخفيفة ، وكان فيليب يبدو ملولا ، هكذا كان دائما كلما سمعني اتحدث عن هوايتي

وقال بوارو :

ـ تذكر الآن ، انكم توشكون على مغادرة المعمل الى المكتبة ، لتقرأ عليهم الفصل الخاص بموت سقراط ، فمن الذي غادر الغرفة أولا ؟

ـ الزا وانا .. نعم .. لقد اجتازت الباب أولا وانا وراءها .. كنت اواصل الحديث معها ، ثم وقفنا خارج الباب ننتظر خروج الباقين حتى أغلق الباب بالمفتاح .. فيليب .. نعم غادر فيليب الغرفة بعدنا ، ثم .. انجيلا ، ثم امياس .. وبقيت انتظر خروج كارولين

ـ اي انك واثق تماما بانها كانت آخر من غادر الغرفة ، فهل رايت ماذا كانت تفعل بها ؟

ـ لا .. لقد كنت واقفا وظهري الى الباب اتحدث الى الزا واثير ـ ولا شك ـ الملل في نفسها بحديثي .. ثم اقبلت كارولين .. مسرعة واغلقت الباب بالمفتاح ..

وتوقف عن الحديث ، وفتح عينيه ، ورأى بوارو وهو يعيد المنديل الى جيبه ، وتشمم الهواء برهة ، ثم قال لنفسه : « عجبا .. ان الرجل يضع في منديله عطرا »

ثم قال بصوت مسموع :

ـ انني واثق من هذا الترتيب .. الزا أولا .. ثم انا .. ثم فيليب .. ثم انجيلا .. ثم امياس .. واخيرا كارولين .. فهل هذا يوضح شيئا ؟

فقال بوارو :

ـ نعم ، يوضح كل شيء ، اسمع يا مستر بليك ، انني سادعو الباقين للاجتماع هنا ، في هذه الغرفة ... فهل لديك اعتراض ؟

ـ لا ... مطلقا ، ولكن لماذا ؟

ـ لنعرف الحقيقة كلها !

▭

ثم ذهب الى الزا وسألها :

ـ ارجو أن تسمحي لي بالقاء سؤال واحد يا ليدي ديتشام :

ـ اسأل ...

ــ بعد أن انتهى كل شيء ، بعد المحاكمة وصدور الحكم ، هـل طلب ميرديث الزواج منك ؟

فحدقت الزا ديتشام النظر فى وجـه بوارو ، ثم ارتسمت على وجهها امارات السأم والاحتقار ، وقالت :

ــ نعم ، طلب أن أتزوج به . . . ولكن لماذا تسأل ؟

ــ وهل ادهشك هذا الطلب ؟

ــ ادهشنى ؟ اننى لا اتذكر !

ــ بماذا اجبته عليه ؟

ــ بماذا تظن انى سأجيب عليه ؟ أيعقل ان اتزوج ، بعـد غرامى بأمياس ، برجل مثل ميرديث ؟ ان هذا الامر يثير السخرية والضحك، لقد كان احمق فى طلبه الزواج بى ، وهو دائما غبى احمق

وابتسمت فى شحوب وقالت :

ــ لقد اراد ان يحمينى ويرعانى ، هكذا قال ، ظن ان الراى العام كله ضدى ، وانه لم يعد لى مجال للحياة فى هذا البلد . . ولـكن المسكين لم يكن يعرف انى كنت استمتع بما حدث ، ولم يكن يهمنى راى الغوغاء عنى !

وضحكت الزا مرة اخرى عاليا !

واجابت مس ويليامز على سؤال بوارو بشأن اصابة انجيلا على يد أختها قائلة :

ــ لمست انجيلا ذات يوم خدها المشوه ، وقالت : « أن كارولين هى التى فعلت هذا ، ضربتنى بثقالة ورق وأنا طفلة صغيرة جدا ولكن ، لا تشيرى الى هذا الموضوع امامها لانها تضطرب جدا كما تذكرته »

فقال بوارو :

ــ ولكنى سمعت ، او عرفت ، اثناء تحرياتى انها ضربتها بقضيب حديدى

ــ اننى لا اعرف عن هذا شيئا

ــ الم تشر مسز كريل ذات مرة الى هذا الموضوع فى احاديثها معك ؟

ــ كانت تشير اليه بطريقة غير مباشرة ، على اساس اننى اعرف

كل شيء عنه ، واذكر انها قالت لي مرة : « أنا أعرف ، انك تظنين انني افسد انجيلا بتدليلي لها واسرافي في تلبية رغباتها ، ولكنني اشعر دائما بانني مهما فعلت لها ، فلن استطيع أن أعوضها عن تشويهي لوجهها » . وقالت في مناسبة أخرى : « ليس هناك عذاب اشد من احساس الانسان بانه السبب المباشر في اصابة شخص آخر بعاهة مستديمة »

فقال بوارو :

ـ شكرا يا مس ويليامز ، هذا هو كل ما اردت ان اعرفه !

فقالت مس ويليامز بحدة :

ـ انني لا افهمك يا مسيو بوارو ، الم تطلع كارلا على تقريري عن المأساة ؟

ـ نعم ... اطلعتها

ـ ومع ذلك مازلت تعتقد أن ...

فقاطعها بوارو قائلا :

ـ ان الظواهر كثيرا ما تكون خادعة !

ـ ولكن الحقائق لا يمكن ..

ـ انك قد ترين باقة من الورد الاحمر العاطر في غرفة استقبال احد الاغنياء في شهر يناير ، فتحسبينها ورودا اصطناعية ، بينما هي ، في الواقع ، حقيقية جيء بها في الطائرة من جنوب افريقيا !

ـ ولكن ما دخل هذا اللغو كله في موضوعنا ؟

ـ اريد أن ابين لك ان الانسان في الحقيقة يرى بعيني عقله !

وانصرف بوارو ، تاركا مس ويليامز اشد ما تكون حيرة ازاء هذه الالغاز !

▭

واستقبلت انجيلا وارين هيركيول بوارو في مودة وترحاب ، وقالت :

ـ هل استطعت أن تكتشف جديدا في الموضوع ؟

فاومأ بوارو برأسه وقال :

ـ يمكنني ان اقول انني في الطريق الى الحقيقة اخيرا ...

فتساءلت قائلة بصوت فيه من نبرات الشك اكثر مما فيه من نبرات اليقين :

ـ فيليب بليك ؟

وهز بوارو كتفيه وقال :

ـ انني يا مس وارين لا أريد الآن ان اقول شيئا ، ان الوقت لم يحن بعد لكشف الحقيقة كلها ، وكل ما أرجوه منك ان تتكرمي بالحضور الى منزل مستر مرديث في ضيعة هاندكروس ... وسيحضر الجميع هناك ..

فقطبت جبينها وقالت :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟ أتعتقد أن في مقدورك اعادة الموقف الى ما كان عليه منذ ستة عشر عاما ؟

فأومأ برأسه وقال :

ـ ربما استطعت ان ارى الموقف من زاوية اوضح ... هل ستحضرين ؟

فقالت فورا :

ـ نعم .. سأحضر ، فمن الطريف ان أرى كلّ هؤلاء الناس مرة اخرى بعد كل هذه المدة الطويلة ... ولعلي أراهم ، كما قلت ، من زاوية اوضح

فقال بوارو :

ـ هل ستحضرين معك الخطاب الذى اطلعتني عليه ، الخطاب الذى ارسلته اليك أختك عقب صدور الحكم عليها ؟

فقطبت انجيلا جبينها وقالت :

ـ ان هذا الخطاب من خصوصياتي ، وقد اطلعتك عليه لاسباب اوضحتها لك ، ولكنني لست مستعدة لان يقرأه أشخاص غرباء لا يفهمون ولا يقدرون

ـ ولكنك ستسمحين لي بتوجيهك في هذا الموضوع !

ـ انني لن افعل شيئا من هذا القبيل ، ولكني سأحضر معي الخطاب على سبيل الاحتياط، فاذا وجدت ما يدعو الى قراءته، فلن أمانع !

فبسط بوارو يديه مستسلما وقال :

ـ اذن اسمحي لي أن القي عليك سؤالا واحدا

ـ ما هو ؟

ـ هل كنت تقرئين فى أيام المأساة رواية سومرست موم «القمر وستة بنسات» ؟ (١)

فارتسمت الدهشة البالغة على وجه انجيلا وقالت :

ـ عجبا ! كيف عرفت هذا ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ اردت ان أبين لك اننى رجل شديد الذكاء ، أستطيع أن أعرف الاشياء دون أن يخبرنى بها أحد !

(١) ترجمت روايات الهلال هذه الرواية ونشرتها بعنوان « قلب امرأة »

الفصل الخامس عشر

الاجتماع الأخير

كانت اشعة شمس الاصيل تنساب الى غرفة العمل من نافذتها الغربية ، وكانت ثمة مقاعد وثيرة قد صفت بها لتستقبل المدعوين للاجتماع !

وكان ميرديث يتحدث الى كارلا فى شىء من الاضطراب ، وهو يعبث بشاربه ، ثم اذا هو يتوقف فجاة ويقول :

ـ أوه ، انك يا عزيزتى تشبهين والدتك فى جوانب كثيرة ، ولكنك تختلفين عنها فى جوانب اخرى

فقالت له كارلا :

ـ فيم اشبهها ، وفيم اختلف عنها ؟

فتردد ميرديث برهة قبل أن يقول :

ـ انك تشبهينها فى لون البشرة ، وفى الحركة . . . ولكنك تخالفينها فى انك أكثر واقعية وادراكا لحقائق الحياة منها

وكان فيليب بليك ينظر مقطب الجبين من النافذة الى المروج الخضراء ، وينقر فى ضيق ، وتوتر عصبى على المصراع ، ثم يقول :

ـ ما معنى هذا كله ، ان الجو اليوم رائع ، وكان ينبغى أن نقضى هذه الفترة فى لعب الجولف بدلا من الجلوس فى هذه الغرفة المهجورة

فاسرع بوارو يقول :

ـ أوه . . . انني آسف يا مستر بليك ، حقا ان الجو اليوم رائع للعب الجولف ، ولكن هذه هى كارلا ، ابنة أعز صديق لك ، واعتقد

تماما انك لا تتردد فى تقديم اية مساعدة لها

وعندئذ اقبل الخادم وقال :

ـ حضرت مس وارين ..

ونهض ميرديث لاستقبالها قائلا :

ـ جميل منك يامس وارين أن تشرفينا بالحضور ، رغم مشاغلك الكثيرة فلا شك ان وقتك دائما مشغول بمهام الامور

وسار معها نحو النافذة

ونهضت كارلا وهي تهتف فى سرور :

ـ هـالو خالتي انجيـلا ، قرات مقـالتك فى صحيفة التايمز هذا الصباح ، جميل جدا ان يكون للانسان خالة مشهورة مثلك

ثم اشارت الى شاب طويل ، عريض الفكين ، رمادى العينين ، هادىء السمت وقالت :

ـ هذا هو جون راتيرى ، الذى ارجو أن يتم زواجي به

وتمتمت انجيلا قائلة :

ـ أوه ... لم أكن اعرف ...

ومضى ميرديث لاستقبال مس ويليامز التى بدت عند الباب ، فصافحها فى حرارة قائلا :

ـ اوه مس ويليامز ، لقد انصرمت اعوام عديدة منذ تقابلنا آخر مرة ...

وتقدمت مس ويليامز بجسمها النحيل الطويل، وعينيها المركزتين على بوارو ، ثم اذا هى تلتفت الى الشاب جون راتيرى وتتأمله

واسرعت انجيلا وارين اليها وقالت لها باسمة وهى تصافحها :

ـ تصورى يامس ويليامز انني اشعر الآن كأني مازلت تلميذة أمام مدرستها الحبيبة الحازمة !

فقالت مس ويليامز بصوت ينم عن السرور والحماس :

ـ انني جد فخورة بك يا مس وارين ، لقد شرفتني ورفعت راسي عاليا ، اذ حسب الانسان سرورا ورضاء أن يكون له تلميذة رائعة مثلك

ثم التفتت الى كارلا واردفت قائلة :

ـ اعتقد ان هذه كارلا ، آه ... انها لاتذكرني طبعا ، فقد كانت جد صغيرة

واستدار فيليب بليك وقال متجهما :

ـ ماهذا كله ؟ ان احدا لم يخبرني بأن ...

واسرع هيركيول بوارو قائلا :

ـ آه ، معذرة يا مستر بليك ، انني اسمي هذا الاجتماع «رحلة الى الماضي » ، تفضلوا جميعا بالجلوس ، وسوف نبدأ الاجتماع بمجرد وصول العضو الاخير ، الليدي الزا ديتشام ، وعندما تصل سوف تظهر الارواح !

فقال فيليب :

ـ ماهذا الهراء يا مسيو بوارو ، هل هي جلسة تحضير ارواح؟

ـ لا .. لا .. ليس هذا ما اعني ، ولكني اعتقد ان حديثنا عن الماضي ، وتبادلنا الآراء فيما حدث بشأن تلك المأساة الاليمة ، سيؤدي الى استحضار روح امياس كريل ، وروح زوجته كارولين في هذه الغرفة دون ان نراهما ، ولكن من المؤكد اننا سنشعر بهما

فهتف فيليب قائلا :

ـ كلام فارغ !

وتوقف فجأة عن الحديث العنيف حين فتح الخادم الباب وقال:

ـ ليدي ديتشام

واقبلت الزا الى الغرفة في جرأة ووقاحة واستهتار ، وأومأت برأسها في ابتسامة خفيفة الى ميرديث ، وارسلت نظرة باردة الى انجيلا وارين، ثم الى فيليب، ثم مضت الى مقعد منفرد عن بقية المقاعد، بالقرب من النافذة ، وخلعت معطفها الفراء الثمين ، ثم تلفتت برهة في جوانب الغرفة ، هذا بينما كانت كارلا تتأمل هذه المرأة التي كانت السبب المباشر في وقوع المأساة ... المأساة التي حرمتها من ابيها ولطخت اسم امها بالجريمة والعار

ولكن لم يكن في نظراتها اية امارات للحقد والعداء

وقالت الزا في برود :

ـ انني آسفة اذا كنت قد تأخرت قليلا يا مسيو بوارو

فابتسم بوارو وقال :

ـ ان مجرد حضورك شرف كبير

واصدرت مس ويليامز من انفها صوتا ينم عن الاحتقار والسخرية، ولكن الزا لم تكترث بشيء من هذا ، وانما قالت موجهة الحديث هذه المرة الى انجيلا :

ـ كدت الا اعرفك يا انجيلا ، كم مضى من السنين على .. على .. آخر لقاء ؟ ستة عشر عاما ؟

وانتهز هيركيول بوارو هذه الفرصة وقال :

ـ نعم ، مضى ستة عشر عاما على هذه الاحداث التى سنتناولها الآن بالشرح والتفصيل ، واحب اولا ان اوضح لكم السبب فى هذا الاجتماع

وفى كلمات قليلة واضحة ، ذكر لهم المهمة التى كلفته بها كارلا لامرشانت، وقبوله القيام بها رغم صعوبة البحث والتحرى عن جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ، وصدر فيها الحكم بالادانة

وكان يتحدث بسرعة ، متجاهلا ثورة الغضب التى كانت تتجمع على وجه فيليب ، وامارات الاشمئزاز التى نم عليها وجه ميرديث

وكأنما كان كل منهما يقول له : « ايها الكاذب الملفق ... الخبيث ! »

وكان بوارو قد اختتم حديثه قائلا :

ـ نعم .. قبلت القيام بهذه المهمة للبحث عن الحقيقة

□

وكانت كارلا لامرشانت ، ابنة كريل وكارولين ، جالسة فى مقعد وثير ، تسمع صوت بوارو وكأنه آت من بعيد ... وتتأمل وجوه الاشخاص الخمسة المجتمعين فى الغرفة ، كما سبق ان اجتمعوا مع ابيها وامها ، منذ ستة عشر عاما

كانت تتأمل وجوههم وهى تظلل عينيها بيدها ، وكانت تتساءل: هل يمكن ان يكون احدهم هو القاتل : الزا المستهترة ، أم فيليب الغاضب ، أم ميرديث الهادىء ، ام مس ويليامز الحازمة ، أم انجيلا الثابتة الرزينة ؟

هل تستطيع هى ، مهما حاولت ، ان تهتدى الى القاتل الحقيقى بين هؤلاء الاشخاص الخمسة الذى شهدوا المأساة ؟

هذا طبعا اذا لم تكن امها هي المذنبة !

لا ، ليس هذا ممكنا بعد ان رات هؤلاء الاشخاص راى العين

من المحتمل ان يقتل فيليب شخصا فى ساعة غضب ، ان يخنقه بيديه

ومن المحتمل ان يهدد ميرديث لصا يقتحم بيته ، بمسدس فارغ من الرصاص ، او من المحتمل ان يطلقه عليه ، رغما عنه

ومن المحتمل ان تطلق انجيلا مسدسها فعلا فى حالة الدفاع عن النفس ، دون تردد او خوف

ومن المحتمل ان تجلس الزا على هودج شرقى ، ثم تطلب من العبيد ان يلقوا باحد المذنبين الى البحر ، بعد ان يقيدوا يديه وقدميه

اما مس ويليامز ، فانك اذا سالتها : « هل قتلت شخصا ما يامس ويليامز ؟ » فانها على الارجح ستجيب عليك قائلة : « التفت لدروسك ، وحاول ان تحل مسألة الحساب حلا صحيحا ، وحذار ان تسال مرة اخرى مثل هذه الاسئلة الشريرة »

وقالت كارلا لنفسها :

« يبدو انني مخطئة اشد الخطأ ، يبدو انى واهمة .. يجب ان اطلب من هذا الرجل بوارو ان يتوقف عن الحديث فى هذا الموضوع ، فليس من المعقول ان يكون بين هؤلاء مجرم رهيب »

ولكن بوارو كان قد بدأ الحديث فى صميم الموضوع ، وكان يقول :

ـ هذه هي المهمة التى كلفت بها ، ان اعد ادراجى عبر السنين ، لاكتشف حقيقة ما حدث و ...

وقال فيليب بليك :

ـ ولكننا ، هنا ، نعرف جميعا حقيقة ما حدث ، واذا حاول أحدنا أن يزعم غير هذا فهو مخطىء .. نعم ، انك تاخذ مالا من هذه الفتاة بغير مقابل ، هذه حقيقة لا جدال فيها ، انه نوع من الاحتيال والتغرير

وابى بوارو ان يغضب ، ومن ثم قال :

ـ انك تقول انكم جميعا تعرفون حقيقة ما حدث ، والواقع انك تلقى بهذا القول فى غير تفكير ، فليس من الضرورى أن يكون كل ما قيل

من حقائق المأساة صادقا تماما ، والدليل على هذا ، يا مستر بليك ، انك ذكرت فى تقريرك بوضوح انك تكره كارولين ، وتحقد عليها ... فهل انت صادق فى هذا القول ؟ ان اى مبتدىء فى علم النفس يعرف ان الحقيقة هى العكس ، وان حقدك عليها نابع من رغبتك فيها ... من حبك المادى لها . لقد كنت دائما مفتونا بها ، خاضعا لجاذبيتها ، وكنت ثائرا على هذا الافتتان وهذا الخضوع،وكثيرا ما بذلت الجهد لمقاومة هذه الرغبة العارمة نحوها . وبسبب هذه الرغبة فى المقاومة ، ظللت توحى لنفسك بانها امراة شريرة ، خبيثة ، كثيرة العيوب ، متعددة الاخطاء ، جديرة بكراهيتك ، لا بحبك . وكذلك كان الامر مع اخيك ميرديث ، ولكن بطريقة مختلفة : كان ميرديث متفانيا فى حب كارولين ، وقد حاول فى تقريره ان يعبر عن هذا الحب بطريق غير مباشر .. اى عن طريق التنديد باخطاء امياس كريل وسوء تصرفاته معها ، وقسوته عليها .. ولكن ، اذا نحن امعنا النظر فى تقريره ، لادركنا من بين السطور ، ان حبه لكارولين كان قد بدأ يخمد ويتلاشى ، ليحل محله حب آخر : حب الفتاة الصغيرة الجميلة الزا ، كان الواضح من تقريره ان الزا هى التى كانت تملأ عليه فكره وقلبه

وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ...

وابتسمت الزا ديتشام ...

واستطرد بوارو يقول :

ـ اننى اذكر هذه الحقائق على سبيل المثال ، وان كانت لها دلالاتها عن المأساة ذاتها ... حسنا ، لقد رحلت عبر السنين الى احداث هذه المأساة منذ ان كلفتنى مس كارلا بهذه المهمة ، تحدثت مع مفتش البوليس الذى تولى التحقيق ، وتحدثت مع الاشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، واستلمت تقاريرهم المكتوبة ، اعنى تحدثت اليكم واستلمت تقاريركم . وقد استطعت من هذا كله ان ارسم صورة واضحة لكارولين ، قبل المأساة ، وبعدها .. وفهمت من هذه الصورة ، ان كارولين ، بعد وقوع المأساة كانت مستعدة للموت ، مرحبة به ، رغم تكرار القول بانها بريئة . ولكنها كانت فى راى الجميع ، غير بريئة !

فقال فيليب :

ـ نعم ... هذه هي الحقيقة ، ان جميع القرائن الحاسمة تدل على ادانتها

فهز بوارو كتفيه وقال :

ـ ولكنني ، شخصيا ، لست ملزما بقبول قرارات الغير في هذا الشان . كان واجبي يحتم على فحص هذه القرائن والادلة بنفسي . كان على ان اختبر هذه الحقائق وافحصها لارضي ضميري ، ولهذا السبب قمت بتحرياتي مع مفتش البوليس الذي تولى تحقيق الجريمة ، ومع الاشخاص الخمسة : معكم انتم ، يا من كنتم موجودين اثناء وقوع المأساة . وقد كتبتم مشكورين تقاريركم عنها ، واستطيع ان اقول اني عثرت في هذه التقارير على ما كنت ابحث عنه ، كنت ابحث عن تفاصيل بسيطة غفل عنها رجال البوليس لفرط بساطتها ، ورغم اهميتها ، وهذه التفاصيل البسيطة الهامة هي : اولا : احاديث معينة ، وتصرفات خاصة اهملها رجال البوليس على انها غير ذات اهمية ، وثانيا : آراء بعض الشخصيات المحيطة بكارولين عن تفكيرها ومشاعرها ، وانا اعترف ان المحكمة ما كانت تعتمد على هذه الآراء من الناحية القانونية ، ثالثا : حقائق معينة اخفيت عمدا عن رجال البوليس

وصمت بوارو برهة ، قبل ان يستطرد قائلا :

ـ ولكنى الآن في وضع يتيح لي الحكم في الموضوع بنفسي .. وانا لا انكر انه كان هناك الدافع القوى الذي يبرر ارتكاب كارولين لجريمة قتل زوجها ، فقد كانت تحب زوجها حبا جنونيا ، واعترف هو امامها بصراحة انه سيهجرها من اجل امراة اخرى ، واعترفت هي انها زوجة شديدة الغيرة

واذا انتقلنا من دوافع الجريمة الى الوسائل ، وجدنا انه عثر على زجاجة فارغة كانت تحتوى على سم الكونين في درج خزانة ملابسها ، وانه لم يوجد على هذه الزجاجة بصمات اصابع احد غير بصماتها هي ، ولما سئلت عنها اثناء التحقيق ، اعترفت انها اخذت سم الكونين من هذه الغرفة التي نجلس فيها الآن ... وزجاجة الكونين التي كانت هنا ، كانت عليها ايضا بصمات اصابعها ، اى انها صادقة في هذا الاعتراف . ولما سألت المستر ميرديث عن ترتيب خروجكم من هذه الغرفة يومذاك ، قال ان كارولين كانت آخر من غادرها ، واهم من هذا

انه كان هو موليا ظهره اليها ، مشغولا بالحديث مع مس الزا جرير ، اى انه كان من المستحيل عليه أن يعرف ماذا كانت تفعل كارولين فى الغرفة قبل خروجها ، معنى هذا ان الفرصة كانت سانحة لها لكى تختلس كمية الكونين ، وانا ، من هذه الناحية ، مطمئن تماما انها ، فعلا ، اخذت كمية من السم ... من هذه الغرفة ...

ومرة اخرى صمت بوارو ، فقال فيليب :

ــ اليس هذا الدليل وحده يكفى على ادانتها ؟

فابتسم بوارو وقال :

ــ مهلا يا مستر بليك ، لسوف نتابع الموضوع خطوة خطوة حسب ما ورد فى تقاريركم انتم ... اننى لن اقحم معلومات جديدة ليس لها اساس فى هذه التقريرات ...

ثم نظر الى ميرديث وقال :

ــمن الطريف فىهذا الموضوع ، اوفىهذه النقطة بالذات،ان المستر ميرديث ذكر لى اثناء حديثه عنها ، انه كان يشم رائحة الياسمين تنساب من اشجار الياسمين النامية وراء النافذة ، وقد نسى ان الحادث وقع فى شهر سبتمبر ، اى فى شهر لا يمكن أن تتفتح فيه ازهار الياسمين ، ولكن الياسمين الذى شم رائحته فى ذلك الحين ، هو العطر الذى سكبته كارولين من زجاجة حقيبتها لتضع فيها كمية من سم الكونين ، واذا دل هذا على شىء ، فانما يدل على ان كارولين قررت فجاة ، وبعد ســـماعها عن مفعول الكونين الذى يميت بغير آلام ، ان تختلس كمية منه ، فأفرغت زجاجة العطر لهذا الغرض . وقد قمت امس بتجربة بسيطة فى هذا الشأن مع مستر ميرديث ، فجعلته يغمض عينيه ليستعيد موكب الذكريات ، ثم لوحت امامه بمنديل معطر بالياسمين ، فتتابعت الذكريات فى ذهنه ، وكلنا يعرف أثر الروائح فى بعث الذكريات من مرقدها

وعندئذ قال فيليب فى شىء من الضيق والضجر .

ــ ما معنى كل هــذه الادلة التى تسوقهــا لتثبت ان كارولين اختلست من هذه الغرفة كمية من السم ... اما يكفى اعترافها ؟

فابتسم بوارو وقال :

ــ بعض المتهمين يدلون ، لاسباب خاصة ، باعترافات غير صحيحة !

ـ حسنا ، ولكن جميع الادلة ، مع اعتراف كارولين ، قد اثبتت انها هي ، لا أحد آخر ، التي اختلست كمية السم .. فلماذا كل هذا الاستطراد ؟

ومرة اخرى ابى بوارو أن يغضب ، ثم قال :

ـ أردت من هذا الاستطراد ان اثبت بالدليل القاطع ان كارولين هي فعلا وقولا التي اختلست السم

فقال فيليب في صوت ينم عن السخرية :

ـ وبالتالي لتثبت ، قولا وفعلا ، انها هي التي ارتكبت الجريمة ، واعتقد ان رجال البوليس كانوا اسبق منك في هذا الشأن

ـ مهلا يامستر فيليب بليك ، لسوف انتقل الى نقطة اخرى لا يستطيع احد ان يماري فيها ، فقد اجتمعت اقوال الشهود على ان الزا جرير صارحت كارولين بعزمها على الزواج من امياس ، وان امياس اعترف لزوجته بهذه الحقيقة ، وان كارولين كانت في حالة نفسية سيئة بعد هذا الاعتراف . حسنا ... كل هذا مفروغ منه . لننتقل الآن الى الاحداث التي وقعت في صباح يوم المأساة . في هذا الصباح وقعت مشادة او مشاجرة او شيء من هذا القبيل بين امياس وزوجته في غرفة المكتبة .. وقد سمعها مستر فيليب بليك ، وهو يمر بالصالة ، وكذلك سمعتها الزا جرير ، وهي جالسة تحت نافذة غرفة المكتبة ، تقول بصريح العبارة لزوجها : « هكذا انت مع نسائك . لسوف اقتلك في يوم ما » . وقد ذكرت الزا جرير انها سمعت امياس وهو يطلب من زوجته أن تتعقل وتتزن ولا تتهور في تصرفاتها ، فاجابت كارولين عليه بانها تفضل ان تراه ميتا على ان يتزوج من هذه « الفتاة » . ثم غادر أمياس غرفة المكتبة وطلب من الزا جرير ان تمضي معه الى حديقة البحر ؛ لكي تجلس معه في الوضع الخاص حتى يفرغ من رسم اللوحة ، فطلبت منه ان ينتظر قليلا ريثما تأتي بصديريتها الصوفية لتحتمي بها من برودة هواء البحر

وصمت بوارو برهة قبل أن يقول مستطردا :

ـ الى هنا ونحن نجد تصرفات كل شخصية في المأساة تبدو طبيعية متناسقة من جميع النواحي السيكولوجية ... فقد كان كل واحد يتصرف كما هو منتظر منه . ولكننا سننتقل الآن الى مرحلة بدت

فيها بعض التصرفات غير منطقية ، وغير منتظرة ، ومع ذلك لم يحاول أحد ، يومذاك ، أن يسأل عن السبب

وتحولت نبرات صوت بوارو فجأة من البساطة واللين ، الى الجد والحزم وهو يقول :

ـ اكتشف ميرديث بليك سرقة ـ او ضياع ـ كمية من سم الكونين من معمله في الصباح ، فاتصل تليفونيا باخيه فيليب الذي كان ينزل ضيفا على امياس وكارولين ، وطلب منه فيليب أن يسرع بالحضور الى قصر آلدربرى ليتبادل معه الحديث في هذا الامر .. وذهب هو ، اى فيليب لاستقبال اخيه عند ضفة الخليج ، وفيما هما عائدان الى القصر في الممر ، سمعا كارولين تتناقش مع زوجها امياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة . فما رايكم في هذا التصرف ؟ هل هو يتناسق ويتطابق من الناحية السيكولوجية ؟ هل هو تصرف منطقى معقول ؟ الم يخطر ببال أحد أن يتساءل كيف يتناقش زوجان في موضوع بسيط يخص الحاق انجيلا بالمدرسة ، بعد هذه المشاجرة العنيفة التى سمعت فيها الزوجة وهى تهدد زوجها بالموت ؟ أيمكن أن يحدث هذا ؟ ايمكن ان تتشاجر زوجة مع زوجها الى حد تهديده بالموت ، ثم تذهب اليه بعد عشرين دقيقة لكى تتناقش معه في موضوع الحاق أختها بالمدرسة ؟

□

والتفت بوراو الى ميرديث وقال له :

ـ لقد ذكرت في تقريرك انك سمعت أمياس كريل يقول لزوجته :

« لقد انتهى كل شيء ، ولسوف ترحل » أليس كذلك ؟

فقال ميرديث فورا :

ـ نعم ... سمعت هذه العبارة بوضوح

وقال فيليب مؤكدا :

ـ نعم ... اذكر انى سمعت شيئا من هذا القبيل ، ونحن نقترب من باب حديقة البحر

فقال له بوارو :

ــ هل انت متأكد تماما انك سمعت هذه العبارة أو ما معناها

فقطب فيليب جبينه وقال :

ــ نعم . . . طبعا ، سمعت شيئا عن حزم الحقائب والرحيل

ــ وكان المتحدث امياس كريل ، وليست كارولين ؟

ــ بكل تأكيد . . . واذكر أن كارولين قالت له انه شديد القسوة على الفتاة ، لماذا تلح في هذه الاسئلة . . فقد كنا نعرف أن الموضوع يتعلق بترحيل انجيلا الى المدرسة

وقال ميرديث :

ــ نعم ، فان كارولين حين رأتنا ابتسمت ، وقالت انها كانت تتحدث مع زوجها بخصوص الحاق انجيلا بالمدرسة ، واصراره على ترحيلها في اقرب فرصة . .

وقال فيليب :

ــ ولكن ، ما علاقة هذا كله بارتكاب الجريمة يا مسيو بوارو ؟

فابتسم بوارو وقال :

ــ ان لها اكبر علاقة ، انها الخيط الاول من الضوء الذى هدانى الى الحقيقة . . وقد اتصل به مباشرة خيط آخر زاد الحقيقة ضوءا ، وذلك ان كارولين ، المخذولة ، المهجورة ، الكسيرة الجناح التى تفكر فى الانتحار ، او تدبر مقتل زوجها ، والتى هددته علانية بالموت ، كارولين هذه ، تعد زوجها فى هدوء ورضاء بأن تأتى اليه بزجاجة بيرة مثلوجة بعد ان اعرب عن اشمئزازه من البيرة الساخنة الموجودة فى الحديقة فهل مثل هذا التصرف ايضا يطابق قوانين علم النفس البدهية ؟

فقال فيليب بليك :

ــ نعم . . . انه تصرف معقول ما دامت تدبر مقتل زوجها ، فقد كانت فرصتها السانحة لتدس له السم فى الشراب

فقال بوارو :

ــ اتعتقد هذا ؟ اذا كانت قررت فعلا دس السم لزوجها ، واذا

كان زوجها يحتفظ ببضع زجاجات من البيرة في الحديقة ؟ فلماذا لم تضع هذا السم في زجاجة او اثنتين من هذه الزجاجات التي ثبت انها لم تكن تزيد عن ثلاث ؟ وكان هذا في مقدورها دون أن يراها أحد ؟

فهز فيليب راسه وقال :

ـ لا . . لم يكن في مقدورها ان تفعل هذا خشية أن يشرب شخص آخر من الزجاجة المسممة

فابتسم بوارو وقال :

ـ شخص آخر ؟ مثل الزا جرير مثلا ؟ اتريد ان تقول لي أن المراة التي قررت قتل زوجها ، سوف تخشى من قتل عشيقته خطأ ؟

وصمت بوارو برهة قبل ان يستطرد قائلا :

ـ ولكن . . . دعونا من هـذه الاحتمـالات ولنركز اهتمامنـا بالحقائق ، لقد قالت كارولين انها ستبعث الى زوجها بزجاجة بيرة مثلوجة ، ثم صعدت الى القصر ، وتناولت من الثلاجة زجاجة بيرة ، وعادت بها اليه ، وصبت منها في الكاس التي كانت موضوعة بجانبه ، وشرب هو الكاس في جرعة واحدة ، وبدا عليه التأفف وقال : « كل شيء في فمي اليوم مر . . . » ثم عادت كارولين الى القصر بعد ذلك ، وحل موعد طعام الغداء ، وجلست هي مع الضيوف كالمعتاد لتناول الطعام ، وقد اجتمعت الآراء على انها كانت ثابتة لايبدو عليها غير شيء يسير جدا من القلق ، ولكن هذا لا يهم ، فهناك قاتلات ثابتات الاعصاب يقتلن القتيل ويمشين في جنازته ، وهناك قاتلات متوترات الاعصاب ، تنم تصرفاتهن على اضطراب نفوسهن . ولهذا السبب فلن اهتم كثيرا بهذه النقطة . وبعد الغداء ، ذهبت كارولين لتنظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء . وهناك وجدته ميتا . . . ونستطيع ان نقول انها اضطربت ، وانها ارسلت مس ويليامز لاستدعاءالطبيب ، وهنا سننتقل الى حقيقة لم يسبق أن عرفها احد منكم غير مس ويليامز . . .

ثم التفت الى مس ويليامز ، فلما اومات له براسها ، قال :

ـ والتفت مس ويليامز،وهي في طريقها الى التليفون ، بمستر

ميرديث ، فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب ، وعادت مسرعة الى كارولين لتبقى بجانبها . فماذا تظنون انها رات ؟

▭

وخيم الصمت الرهيب على غرفة المعمل المهجور ، بينما استطرد بوارو يقول :

ــ رات كارولين وهى تزيل بمنديلها آثار بصمات اصابعهـا من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات اصابع زوجها

وشحب وجه كارلا ، واتسعت عينا انجيلا وارين ، وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ، وقال فيليب :

ــ الم اقل . . .

ولكن الزا جرير ، او الليدى ديتشام تململت فى مقعدها ، ونظرت الى مس ويليامز فى دهشة بالغة وقالت :

ــ ارايتها حقا . . . تفعل هذا ؟

فقالت مس ويليامز فى صوت ينم عن الاحتقار :

ــ اننى لم اتعود الكذب فى التفاهات ، فكيف اكذب فى الخطير من الامور ؟

ووثب فيليب قائلا :

ــ ان هذا يضع حدا للأمر كله ، فلا داعى للمزيد من الحديث ،

واعتقد يا مسيو بوارو انك لم تفعل أكثر من ان اكدت ادانة كارولين بطريقة لا تدع للشك مجالا . . .

فنظر بوارو اليه فى هدوء وقال :

ــ من قال هذا ؟

وقالت انجيلا فى صوت حاد :

ــ اننى لا اصدق هذا . . . ابدا !

وراح ميرديث يشد شعيرات شاربه فى اضطراب ، وظلت مس ويليامز هادئة فى مكانها تقول بثبات :

ـ هذا ما رأيته بعيني ، واقسم على ذلك امام الله

وقال بوارو بهدوء :

ـ ليس لدينا طبعا اى دليل يثبت هذه الحقيقة غير كلمة مس ويليامز

فنظرت مس ويليامز اليه بثبات وقالت :

ـ نعم . . . ولكنى لم اعتد أن توضع كلمتى موضع الشك

فأومأ بوارو لها براسه وقال :

ـ وأنا يامس ويليامز لا اشك فيما تقولين ، لقد رايت فعلا ماحدث، ولهذا السبب بالذات ، أى ما قامت به كارولين من ازالة بصمات اصابعها عن زجاجة البيرة وطبع بصمات زوجها ، قررت عن يقين وتاكيد بانها لم ترتكب هذه الجريمة ، ولا يمكن بأى حال من الاحوال أن تكون هى المذنبة

ولأول مرة ، قال الشاب الطويل جون راتيرى ، خطيب كارلا ، فى صوت هادىء :

ـ يهمنى أن أعرف يا مسيو بوارو لماذا تقول هذا ؟

فالتفت بوارو اليه وقال باسما :

ـ سوف اخبرك ، ماذا رات مس ويليامز ؟ رات كارولين تزيل فى لهفة بمنديلها آثار كل ما على الزجاجة من بصمات ، آثار بصمات اصابعها هى طبعا ، وآثار اية بصمات اخرى ايضا ، ثم تطبع عليها بصمات اصابع زوجها الميت . . وارجو ان تستوعبوا هذه الحقيقة الهامة جدا ، وهى انها فعلت هذا بزجاجة البيرة ، اليس كذلك يامس ويليامز ؟

فأومأت مس ويليامز براسها قائلة :

ـ نعم . . . بزجاجة البيرة

فابتسم بوارو ابتسامة المنتصر وقال :

ـ هذا مع العلم بأن التحليل الطبى اثبت بصفة قاطعة ان سم الكونين لم يكن موجودا بزجاجة البيرة ، وانما وجدت آثاره فى الكأس الموضوعة بجانبها ، التى كان امياس يشرب منها . . فما معنى هذا ؟ معناه الواضح أن كارولين لم تكن تعرف الحقيقة ، وانما ظنت فقط

أن الكونين كان موضوعا فى زجاجة البيرة ، فهل يستطيع عاقل بعد هذا ان يصدق انها قاتلة زوجها ، رغم انها لم تكن تعرف أين دس السم فى شرابه ؟

فقال فيليب بليك دهشا :

ــ ولكن . . . لماذا حاولت أن . . .

فقاطعه بوارو بحدة :

ــ نعم . . . لماذا ؟ لماذا ازالت بصمات اصابعها واصابع غيرها من الزجاجة ، وطبعت عليها بصمات أصابع زوجها . . . نعم لماذا ؟ من حق كل انسان أن يسأل،ومن واجبى انا،انا الباحث عن الحقيقة ، ان اجيب اجابة مقنعة ، لاسبيل الى الشك فيها ، وهذه الاجابة هى : انها كانت تعرف من الذى قتل زوجها ، وأنها على استعداد لان تفعل أى شىء ، وأن تحتمل اى شىء ، حتى تبعد التهمة عن ذلك الشخص

وصمت بوارو برهة قبــل أن يردف قائلا وهو يشيح بوجهه عن انجيلا وارين :

ــ ومن السهل علينا ان نعرف من هى الشخصية التى كانت كارولين على استعداد لاحتمال اى شىء من اجلها ، فهل يمكن أن تكون هــــذه الشخصية الغالية : فيليب بليك أو ميرديث ، أو مس ويليامز ، او الزا جرير ؟ لا . . . لا يمكن أن يكون أحد هؤلاء اغلى على كارولين من حياتها . . . اذن فمن تكون ؟

وصمت بوارو برهة قبل أن يوجه الحديث الى انجيلا وارين قائلا :

ــ مس وارين ! اذا كنت قد احضرت معك الخطاب الذى ارسلته اليك أختك بعد صدور الحكم ، فارجو أن تسمحى لى بقراءته هنا

فقالت انجيلا بحدة :

ــ لا . . .

ــ ولكن . . . يا مس وارين ان الامر

فوثبت انجيلا قائلة :

ــ انتى أفهم تماما ماذا تعنى ، انك تريد أن تقول اننى انا قاتلة امياس كريل ، اليس كذلك ، انا قاتلة امياس ؟ وقد حاولت اختى أن تحمينى وتتستر على . ولكننى انكر هذا الاتهام المزعوم بكل قوة

ــ الخطاب يا مس وارين

ـ ان هذا الخطاب من شئوني الخاصة ، لقد ارسل لى ، لا لاحد غيري

ونظر بوارو الى كارلا وخطيبها الواقفين معا فى شيء من الاضطراب ، وعندئذ قالت كارلا فى رجاء :

ـ ارجو منك يا خالتي انجيلا ، ارجو منك ، لماذا لاتسمحين بقراءة الخطاب ؟

فقالت انجيلا :

ـ عجبا يا كارلا ؟ كيف تقبلين هذا ؟ انها امك . . . ولا يجوز . . .

فانساب صوت كارلا واضحا رنانا فى الغرفة :

ـ نعم ، انها امي ، ولهذا السبب اطلب منك ان يقرا خطابها هنا ، فان هذا من حقى

فهزت انجيلا كتفيها ، وفى بطء شديد اخرجت من حقيبة يدها الخطاب وسلمته الى بوارو الذى قراه بصوت مسموع للجميع ، واحست كارلا فجاة بأن شخصا ما دخل الغرفة ، كان ظلالا تجمعت، وتجسدت .. وان هذه الظلال المجسدة تنصت معها فى لهفة الى كلمات الخطاب ، وهتفت كارلا لنفسها لاهثة الانفاس : « انها هنا .. امي كارولين كريل معنا فى هذه الغرفة ! »

وتوقف بوارو عن القراءة بعد ان فرغ من تلاوة الخطاب ، ثم قال :

ـ انه خطاب مدهش ، اليس كذلك ؟ خطاب عجيب ، رائع .. ولكن الذى يلفت النظر فيه هو انه خال تماما من اى ادعاء ببراءتها

فقالت انجيلا :

ـ لا داعي لان تؤكد لى براءتها ، لانى اعرف انها بريئة ، وهى ايضا تعرف هذه الحقيقة البديهية ، فلماذا تؤكدها لى ؟

ـ نعم يا مس وارين ، كانت كارولين تعرف تماما انها بريئة، وانك واثقة من براءتها ، بل انك اكثر الناس ثقة بهذه البراءة ، لقد كان همها فقط فى هذا الخطاب هو ان تواسيك وتهدىء من اعصابك، وتؤكد لك انها ليست آسفة او نادمة او حزينة ، وان عليـــك ان تنسى كل شيء ، وتعيشي حياتك فى سعادة ونجاح

ـــ من البدهي أن ترجو اخت لاختها كل سعادة ونجاح في الحياة

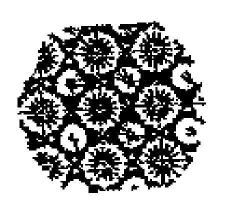
ـــ نعم ، ولكن لا تنسى انها كانت لها طفلة في الخامسة من عمرها ، ومع ذلك فقد كان كل تفكيرها متجها اليك أنت دون طفلتها ، انهـا لم تفكر في طفلتها الا اخيرا ، وهي على فراش الموت ولم تكتب لها شيئا أكثر من انها بريئة ، اما من ناحيتك انت ، فقد كانت في اشد حالات القلق ، كانت تريد ان تؤكد لك انها ليست آسفة ، وانهـا ستحتمل العبء راضية « لان على الانسان ان يدفع ثمن ما جنت يداه » كما ذكرت في نص خطابها ، ان هذه العبارة توضح كل شيء انها تبين مدى الآلام النفسية التى تحملتها منذ أن أصابت اختها في ساعة غضب وغيرة اصابة سببت لها عاهة مستديمة ، ولكن هاهي ذي الاقدار قد أتاحت لها الفرصة لدفع الثمن . ولكي تخفف عن نفسها الآلام الرهيبة ووخز الضمير ، وانا استطيع أن أؤكـد ان كارولين ، بعد أن دفعت هذا الثمن ، احست بسـكينة النفس ، وهدوء البال، وراحة الضمير، بل احست بلون من السعادة الروحية لم يسبق لها مثيل في حياتها . لقد كانت تعتقد انها دفعت ثمن الذنب الذي ارتكبته في حق اختها . ولهذا احتملت اجراءات المحاكمة في صبر واستسلام ورضاء . كان الناس يظنون انه استسلام المجرم لمصيره ، وأنا اقول ، كما سأبين لكم ، انه استسلام الانسان لراحة الضمير

وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلا :

ـــ والآن سأذكر لكم تسلسل الاحداث وانطباقها على الحقـائق ، واتفاق بعضها مع بعض وتناسقها التام مع المبادىء البدهية لعلم النفس .. فنبدأ أولا بحادثة بسيطة وقعت في مساء اليوم السابق على المأساة .. تلك هي حادثة المشاجرة الصبيانية التي وقعت بين انجيلا وامياس بشأن الالتحاق بالمدرسة . لقد القت انجيلا على أمياس بثقالة ورق ، ودعت عليه دعوات سيئة ، ثم انطلقت باكية الى غرفتها ، لقد اعاد هذا المنظر ، منظر القاء ثقالة الورق على اميـاس، الى ذهن كارولين ذكريات الحادث الذي اصابت فيه اختها بثقالة ورق، اصابة كادت أن تكون قاتلة ، وقد صاحت انجيلا في أمياس ، انهـا تتمنى لو تراه ميتا ، وفي ضحى اليوم التالي ، ذهبت كارولين الى

ثلاجة القصر لتأخذ منها زجاجة مثلوجة لزوجها ، وهناك وجدت انجيلا واقفة وفي يدها زجاجة ، وعلى وجهها « امارات من ارتكبت ذنبا » ، وهذا هو التعبير الذى ذكرته مس ويليامز فى تقريرها ، وكانت مس ويليامز تقصد من هذا التعبير شعور انجيلا بخطئها فى الهرب منها طوال فترة الصباح ، ولكن كارولين تذكرت فيما بعد « امارات الشعور بالذنب » هذه ، وفهمت منها شيئا آخر ... نعم، لا تنسوا أن انجيلا اعتادت أن تداعب امياس وتضع فى شرابه اشياء مرة المذاق .. وهكذا اخذت كارولين زجاجة البيرة المثلوجة ،ومضت بها الى زوجها فى حديقة البحر ، وسكبت منها فى الكأس الموضوعة على منضدة بجانبه ، وشرب هو الكأس فى جرعة واحدة ، وتأفف من مذاقها قائلا ان كل شيء فى فمه مر هذا اليوم ، ولكن كارولين لم تشك فى شيء عندئذ .. ولكنها ، بعد ان اكتشفت موت زوجها عقب طعام الغداء ، شكت فى الامر ، بل ايقنت انه مات مسمما ، ولكنها هى لم ترتكب الجريمة ، فمن اذن الذى ارتكبها ؟ وتذكرت كل شيء فى لحظة .. تذكرت رغبة انجيلا فى رؤية امياس ميتا ، تذكرت « امارات الشعور بالذنب » على وجهها وهى واقفة بجانب الثلاجة تعبث بالزجاجات ، ولكن ، لماذا فعلت الصبية هذا ؟ لاشك انها لم تكن تقصد ان تقتله ، لعلها أرادت فقط أن تغيظه ، أن تجعله يمرض .. أو انها قتلته فعلا من اجلها هى .. من اجل كارولين ؟ مهما يكن السبب ، فقد كادت هى ، وهى فى مثل هذه المرحلة من العمر ، أن تقتل اختها ، فلماذا لا تفعل انجيلا هذا ايضا ؟ حسنا ، يجب اذن أن تحمى انجيلا بأى ثمن ، لقد أمسكت الفتاة بالزجاجة التى دست فيها السم ، فيجب اذن أن تزيل عن الزجاجة كل آثار للبصمات .. انها لم تكن تزيل بصماتها هى ، وانما بصمات انجيلا ايضا ، وهو المهم ... ثم ماذا ايضا ؟ يجب أن تجعل كل انسان يعتقد أن امياس مات منتحرا . وانها لم تفكر فى تلك اللحظة ان الناس من الناحية النفسية ، لن يصدقوا انتحار امياس ، أن كل همها كان مركزا فى انقاذ انجيلا باى ثمن ، وهكذا طبعت بصمات اصابع زوجها على الزجاجة ، وكانت تعمل هذا كله بسرعة واضطراب وحذر ،

وهي ترهف السمع هنا وهناك . واذا نحن نظرنا الى الموضوع من هذه الزاوية ، ادركنا ان كل شيء بعد ذلك يتفق معه ... ادركنا سر استسلام كارولين اثناء المحاكمة مع الاصرار على براءتها ، وسر قلقها الشديد على انجيلا ، وسر رغبتها في ابعادها فورا عن مسرح المأساة الى الريف ، ثم سر اصرارها على ابعادها خارج البلاد خوفا من أن تنهار اعصاب الفتاة وتعترف بكل شيء



الفصل السادس عشر

الحقيقة العجيبة

واستدارت انجيلا وارين نحو الجميع ، ثم قالت بصوت حاد وعينين متالقتين بالغضب :

ــ انكم جميعا اغبياء حمقى ، الا تعرفون أنى لو كنت المذنبة ، لاعترفت بالحقيقة ولما تركت أختى الحبيبة تتحمل الوزر عنى !

فقال بوارو :

ــ ولكنك عبثت فعلا بمحتويات زجاجة البيرة التى حملتها كارولين الى امياس !

ــ أنا ؟ ربما ... فانى لا أذكر تماما ، ولكن لا ... لقد تذكرت الآن فقط ... عجبا،لقدعبثت بمحتويات احدى الزجاجات حقا ، ولكنى لم أضع فيها سما ، وانما هذه المادة التى سبق أن وضعتها فى شراب أمياس اكثر من مرة ، انها مادة لا تضر ، وأذكر انها تسمى « مصيدة القطط » لان رائحتها تجذب القطط ، واذكر الآن حقا انى ذهبت فى الصباح الى منزل مستر ميرديث وتسللت الى هذه الغرفة عن طريق النافذة واختلست كمية من هذه المادة

فقال ميرديث :

ــ آه ... عندما شعرت كأن قطة تدخلُ هذه الغرفة ... صباحا !

فقال بوارو :

ــ ان الذى جعلك تشعر بوجود قطة بالذات ، هو تشممك لرائحة هذه المادة ، ما اسمها ؟

ــ فاليريان ...

ــ نعم ، ان لك حاسة شم قوية ، وقد أوحت لك هذه الرائحة

بان احدى القطط هي التي تسللت من فتحة النافذة ، وهي فتحة ولا شك كانت كافية لدخول طفلة منها ...

فقالت انجيلا :

ــ نعم ... اذكر انى دخلت من فتحة النافذة بعد أن رفعت المصراع قليلا ، وعدت الى القصر من طريق آخر . وهذا يفسر « امارات الشعور بالذنب » التى رأتها مس ويليامز واختى كارولين على وجهى بعد أن أغلقت زجاجة البيرة

وتوقفت انجيلا برهة ثم قالت :

ــ ولكننى تذكرت الآن شيئا آخر ، شيئا هاما جدا ، تذكرت انني لم أجد الفرصة الكافية لأضع المادة فى الزجاجة فى ذلك اليوم ، لانني ماكدت احملها من الثلاجة لاعبث بها حتى أقبلت مس ويليامز واختى كارولين ، نعم ، اقسم انى لم اعبث فى ذلك اليوم بمحتويات اية زجاجة !

ثم أردفت بصوت هادىء وهى تنتقل بنظراتها من وجه الى آخر :

ــ انني لم أقتل امياس كريل ، لا عمدا ، ولا نتيجة مداعبة ثقيلة ... ولو أنى فعلت هذا لاعترفت بكل شيء

وقالت مس ويليامز :

ــ طبعا ياعزيزتى ، لن يتهمك بقتل امياس الا كل احمق غبى

ثم نظرت الى بوارو فى تحد وغضب

وابتسم بوارو وقال :

ــ انني لست غبيا ، ولا احمق ، ولهذا لا اتهم انجيلا بارتكاب هذه الجريمة ، لانى اعرف عن يقين من قتل امياس كريل !...

ثم صمت برهة وأردف قائلا :

ــ من الخطر دائما أن نقبل بعض التصرفات على انها حقائق ثابتة غير قابلة للشك ، بينما هى فى الواقع ابعد ما تكون عن الحقيقة ، ولنأخذ ــ مثلا ــ الموقف فى قصر آلدربرى ... انه موقف الصراع الخالد بين امرأتين من اجل رجل واحد ... ولقد تقبلنا ببساطة وبداهة هذه الحقيقة ، حقيقة عزم امياس كريل على هجر زوجته والزواج من الزا جرير ، وتلك احدى الحقائق الخادعة التى ليس فيها من الحقيقة الا اسمها . ولهذا اقول ان امياس لم يكن عازما ، ابدا ، على هجر زوجته أو الانفصال عنها

وصمت بوارو برهة ، وراح يطوف بنظراته على وجوه الجميع ، قبل ان يستطرد قائلا :

ــ كان أمياس يجرى وراء النساء ، ويظل مفتونا بالواحدة منهن طالما كانت نزوة الحب العابرة تربط بينهما ، فاذا خمدت هذه النزوة ، نسي كل شيء عن صاحبته هذه ، ليبحث عن غيرها ، وهكذا . . وكانت غرامياته تدور حول نوع معين من النساء المجربات ، النساء اللائي يعرفن حقيقة العاطفة المتقلبة التي تجيش في صدر هذا الفنان . ولهذا لم تكن احداهن تنتظر منه الكثير . . كل واحدة منهن كانت تعرف ان علاقته بها مجرد نزوة طارئة ، لن تلبث حتى تزول ، ولكن الزا كانت تختلف . . . لم تكن امرأة . . . وانما كانت اقرب الى طفلة ، كانت فتاة قليلة التجربة ، عديمة الخبرة أو تكاد . وكما شهد الجميع ، كانت مخلصة فى حبها لامياس ، مفتونة به ، متفانية فيه ، واثقة منه . انها قد تكون فى نظر الجميع ، جريئة ، مستهترة فى بعض تصرفاتها ، صريحة أكثر مما ينبغي ، لايهمها أحد ، ولا تهتم بغير رغباتها . قد تكون هذه كلها بعض صفاتها ، ولكن المؤكد انها احبت امياس حبا عجيبا : حب الانثى لاول رجل ، حب الفتاة لفتى الاحلام . وكانت تعتقد بل توقن ، لفرط استغراقها فى الحب ، انه يبادلها هذه العاطفة الجبارة بمثلها ، كانت تؤمن ايمانا عميقا ان هذا الحب ، هو حب الحياة ، وحب العمر كله . . . كانت واثقة انه ، دون أن تطلب منه ، سيهجر زوجته من اجلها

ومرة اخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف حديثه قائلا :

ــ ولكن ، قد يتساءل أحدكم : لماذا تركها امياس تعيش فى هذا الوهم الكبير ؟ لماذا لم يحاول ان يصارحها بالحقيقة ؟ الاجابة على هذا ، هي : الصورة ! انهذه الاجابة قد تبدو للبعض غريبة شاذة ، غير معقولة . . ولكنها لن تكون كذلك لمن يعرف نفسية الفنانين ، ان الفنان الاصيل الموهوب يقدم فنه على كل شيء ، وهكذا كان الحال مع امياس . كانت اللوحة فى نظره هى كل شيء . ونحن نستطيع ان نفهم الآن معنى حديث امياس كريل مع مستر ميرديث بليك عندما ربت كتفه وقال له ضاحكا : « اطمئن ياصديقى ان كل شيء سينتهى على خير . . » . أرايتم ؟ كان كل شيء فى نظر امياس بسيطا ، سهلا ، ينتهى بالخير . . انه مشغول برسم لوحة يعتبرها من أعظم اللوحات

التى رسمها فى حياته ، وأنه لن يدع غيرة امرأتين تعوقه عن اتمام هذه اللوحة ، اللوحة التى يعتبرها اعظم شىء فى حياته

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى بوارو ، وهو يستطرد قائلا :

ــ لو أن امياس صارح الزا بحقيقة مشاعره نحوها ، اعنى لو انه عاملها كما كان يعامل غيرها من النساء ، يعيش مع الواحدة منهن اسبوعا أو بضعة اسابيع ثم يهجرها ، اذن لثارت عليه ، وابت أن تجعله يتم الصورة .. اللوحة .. العمل الفنى الذى كان يراه اهم شىء فى حياته يومذاك . ومن المحتمل جدا أنه ، فى غمرة حماس حبه لها فى اول الامر ، قد حدثها عن الزواج ، ومن هجره لزوجته. وليس هو أول عاشق يخدع حبيبته ، الفتاة ، بالحديث عن الزواج أو لعله ترك الزا تعتقد فى قرارة نفسها انه يحبها هذا الحب الذى يجعله فى النهاية يضحى بزوجته وابنته من اجلها . فماذا يهمه ؟ لتعتقد مايشاء لها الحب أن تعتقد ، ولتظن مايريد لها الهوى من الظنون ، انه لن يحفل بما تعتقد ، وبما تظن . . وانما هو يحفل بشىء واحد فقط ، الا وهو اتمام اللوحة بأى ثمن . وكان يعزى نفسه فى غمرة هذه المحنة ، بأن الامر كله لن يحتاج الى اكثر من يومين أو ثلاثة ، ثم ينتهى كل شىء ، على خير ، كما قال ليرديث . . نعم ، ينتهى كلّ شىء ، فى رأيه ، على خير ، حين يصارح الزا بحقيقة مشاعره . حين يقول لها ان كل شىء بينهما قد انتهى . حين يؤكد لها بأنه لا يستطيع أن يهجر زوجته وابنته . وكلنا نعرف انه ، رحمه الله ، كان رجلا مستهترا بعواطف النساء ، ولكن ينبغى الا ننسى انه حذر الزا ، فى أول علاقته بها من نفسه ، لقد صارحها بحقيقته وذكر لها أى رجل هو ، ولكنها ابت ان تاخذ هذا التحذير مأخذ الجد ، واندفعت الى قدرها المقدور بكل عواطفها . اندفعت تلقى بنفسها بين ذراعى رجل يرى المرأة لعبة بين يديه . واذا انت سألته عن هذا ، لقال لك ضاحكا ان الزا شابة صغيرة ، وانها لن تلبث ان تفيق من صدمة هذا الحب ، لكى تبحث عن حب آخر ، وهكذا . ذلك هو أمياس ، وتلك هى آراؤه عن الحب وعن النساء

وصمت بوارو فترة وجيزة ، قبل أن يردف قائلا :

ــ ولكن زوجته ، كارولين ، كانت المرأة الوحيدة التي يحبها من صميم قلبه ، ولا يطيق الانفصال عنها الى الابد ، وكان حبــــه لهـــا يزداد ، وتقديره لشخصيتها يتضاعف كلما تسامحت معه ، وصبرت على تصرفاته ، وقدرت الدوافع التي تجعله يجرى بين الحين والآخــر وراء هــذه المرأة أو تلك ، ثم يعود اليها نادما مستغفرا ! وكان أثناء رسم اللوحة مطمئنا من ناحيتها ، كان يعرف انها ، لاجله ، ستصبر على هذا الوضع الشاذ يومين أو ثلاثة حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وهذا هو سر ثورته وغضبه على الزا حين أحرجت مركزه بحديثها عن الزواج أمام زوجته . لقد وجد نفسه فجأة في أصيل اليوم السابق على المأساة في موقف لا يحسد عليه ، وجد نفسه بين الزا وزوجته . فهو اذا أغضب الزا وطردها من القصر ، فانه لايستطيع أن يتم اللوحة ، ومن ثم تضيع كل جهوده فيهـــا سدى .. اذن ماذا يفعل ؟ لم يكن أمامه الا انه يعتمد على تســامح زوجته . والا انه يؤلها مرة اخرى ، ثم يبين لها حقيقة الموقف بعد يوم أو يومين ، هكذا كان أمياس يفكر ، وهكذا كان يحل مشاكله بمثل هذه السهولة والبساطة

ولكنه ، في مساء اليوم نفسه ، شعر بالقلق على كارولين ، لا على الزا ، ولعله ذهب الى غرفتها في المساء ليوضح لها الامر ، فأبت أن تحدثه ... وأيا كان الامر ، فانه بعد ليلة من القلق والهم ، انفرد بها في غرفة المكتبة عقب طعام الافطار ، وصـــارحها بالحقيقـــة ... صارحها بأنه لم يعد يحب الزا ، وأن شـــعوره نحوها لايزيد عن شعوره نحو النساء الاخريات ، مجرد نزوة عابرة ، وأنه لن يتردد في ترحيلها عن القصر بعد أن يفرغ من رسم اللوحـــة ، أي بعد يوم أو اثنين على الاكثر . ولا شك أن كارولين أجابت عليه عندئذ هاتفة في نفور وغضب : « هكذا أنت دائما مع نسائك ، لسوف أقتلك يوما » ان هذه العبارة قد وضعت الزا في مستوى « نســـائه » السابقات . ومع ذلك كانت كارولين غاضبة منه ، مشمئزة من تصرفاته ، تعتقد أنه اشتد في قسوته على الفتاة الغافلة ، ولمـــا رآها فيليب بعد ذلك في الصالة ، أعني كارولين ، وســـمعها تقول لنفسها في ذهـــول : يا للقسوة » فانما كانت تعبر عن قسوة أمياس على الزا ، لا عليها هي

اما عن كريل ، فقد غادر غرفة المكتبة ، ورأى الزا في الشرفة مع

فيليب بليك ، فطلب منها ـ بخشونة ـ أن تمضي معه الى حديقة البحر لتجلس في الوضع المطلوب ، حتى يفرغ من اتمام اللوحة ، ولكن الشيء الذى لم يكن يعرفه هو أن الزا كانت جالسة تحت نافذة المكتبة من الخارج ، وأنها سمعت وعرفت كل شيء • وان ما كتبته في تقريرها وما تحدثت به في شهادتها أثناء المحاكمة لم يكن الحقيقة كلها

▭

ومرة أخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف تحليله للموقف قائلا :

ـ ويمكنكم أن تتصوروا الصدمة التى أصابتها حين تبينت الحقيقة •• حقيقة شعور أمياس نحوها •• وكانت في اليوم السابق على المأساة ، أعني عند زيارتها مع الجميع لبيت ميرديث بليك ، قد وقفت تتحدث معه خارج باب هذه الغرفة ، بعد أن فرغ هو من محاضرته عن هوايته • وقد ذكر ميرديث أنه كان واقفا يحادثها وظهره الى باب الغرفة ، ومن ثم أمكنها أن ترى كارولين وهي تختلس سم الكونين من الزجاجة ، وقد اعترفت هي بذلك ، اعترفت أنها رات كارولين وهي تأخذ كمية من السم من زجاجة الكونين •• ولكنها لم تقل شيئا لاحد في تلك الليلة ، ولعلها لم تكن تعرف ماذا أخذت كارولين ، أو لعلها عرفت ، ولكنها ظنت أن كارولين أخذت هذا السم لتنتحر به ، وأيا كان الامر ، فقد فكرت في هذا السم وهي جالسة تنصت الى الحقيقة تحت نافذة المكتبة • فلما طلب منها أمياس ، بعد ذلك ، أن تذهب معه الى حديقة البحر ، استأذنت منه قائلة انها ستصعد لتأتي بصديريتها الصوفية لتحتمي بها من برد هواء البحر • وقد صعدت لا لتأتي بالصديرية فحسب ، وانما لتظفر بكمية الكونين من غرفة كارولين ، والنساء عادة يعرفن بالغريزة المكان الذى تخفي فيه غيرهن من النساء بعض الاشياء ، وهكذا لم تجد الزا صعوبة في العثور على زجاجة الكونين في درج خزانة ملابس كارولين ، وحتى لا تترك بصمات أصابعها على الزجاجة ، أخذت الكمية بطريقة « الشفط » في خزان قلم حبر ، ثم هبطت مسرعة الى أمياس ، وذهبت معه الى حديقة البحر ، وانتهزت أول فرصة ، ووضعت السم

فى كأس البيرة ــ الساخنــة ــ دون أن يراها ، وشرب هو الــكأس كعادته فى جرعة واحدة

وفى نفس الوقت كانت كارولين مضطربة بسبب قسوة زوجهــا على الزا ، فلما رأتها تعود الى القصر لتحضر معطفها الصوفى الاحمر، أسرعت الى زوجها فى حديقة البحر ، وراحت تعنفه على قسسوته ، وتطلب منه أن يترفق بالفتاة المسكينة ، وأن يقطع صلته بها تدريجيا حتى لايصدمها وهى فى أول عهدها بالحياة ، ولكنه أجاب عليها بعنف ، بأن « كل شىء قد انتهى .. وأنها لابد أن ترحل فى أسرع وقت » ، وفى تلك اللحظة سمعا وقــع أقــدام تقترب ، أقــــدام فيليب وميرديث بليــك ، فاضــطربت كارولين ، وخرجت اليهمــا تحــاول الابتسام قائلة انها كانت تتناقش مع زوجها فى موضوع الحاق أنجيلا بالمدرسة . وبطبيعة الحال ظن الاخوان ، ولهما العذر ، أن المناقشة أو المشاجرة ، كانت خاصة بموضوع انجيلا ، وأن قول أمياس عن انتهاء كل شىء ، والرحيل فى أسرع وقت ، كان يقصــد به انجيــلا لا الزا طبعا . وعندئذ أقبلت الزا وفى يدها المعطف الصوفى الاحمر، هادئة ، باسمة ، واستأنفت جلستها فى الوضع المناسب

▭

وصمت بوارو برهة ليلتقط أنفاسه ، قبــل أن يعود الى الحديث قائلا :

ــ كانت الزا تعتمد ، ولا شك ، على أن تهمة قتل أمياس سوف تقع فى النهاية على كاهل كارولين ، وذلك عنــدما يعثر المسئولون على زجاجة الكونين فى غرفتها وعليها بصمات أصابعها . والعجيب أن كارولين ضاعفت من الخطر المحدق بها حين أحضرت بنفسها زجاجة البيرة المثلوجة ، وصبت منها فى كأس زوجها . وجرع هو الــكأس دفعة واحدة كعادته ثم تأفف وقال : « كل شىء فى فمى اليوم مر ... » فما معنى هذا الا معناه الواضح أن شيئا آخر كان مرا فى فمه قبل هذه الكأس، وماذا يكون هذا الشىء غير الكأس الاولى التى قدمتها الزا له مسممة بالكونين ، وقد جعل هذا السم ــ البطىء المفعول كما قال ميرديث ــ لسان أمياس مرا ، وأخذ كل شىء يتسم بالمرارة ، وقد ذكر بليك فى تقريره أن أمياس كان يترنح قليلا وهو يعود للعمل بعــد عودة الزا بالمعطف الاحمر ، وظن أنه أسرف فى الشرب ، والتمس له العـــذر



ثم اشار بوارو الى اللوحة المعلقة في غرفة المعمل واردف قائلا : « انظروا الى هاتين العينين ، وتأملوهما بامعان ... لقد رسم عيني قاتلة ! » ...

بسبب المشكلات النسائية التي يعانيها ، أما الحقيقة ، وأما السبب الحقيقي في هذا الترنح ، فهو أن مفعول الكونين كان قد بدأ يسرى في جسمه ...

وهكذا جلست الزا في الوضع الخاص على سور الحديقة ، ولكي تجعله لا يشك في الامر الا بعد فوات الفرصة ، راحت تثرثر معه في مرح مصطنع عن المستقبل ، وعن شهر العسل في أسبانيا ، وعن حفلات مصارعة الثيران التي تنوى أن تشاهدها معه ، وقد سمع ميرديث طرفا من هذا الحديث وهو جالس في الهضبة المشرفة على الحديقة .. وقد لوحت الزا اليه بذراعها ، وبذلت كل جهدها لتبدو طبيعية في تصرفاتها

أما أمياس كريل ، الذى كان يكره الاعتراف بالمرض ، فقد ظل يواصل الرسم بعناد برغم شعوره العنيف بتصلب عضلاته ، وكان، كما قال ، يظن الامر بوادر روماتزم عضلي .. فلمادق جرس الغداء، استلقى على المقعد الخشبي المستطيل متهالكا ، وكان المسكين عندئذ قد شل تماما بحيث أصبح عاجزا عن طلب النجدة .. وأعتقد أن الزا في تلك اللحظات ، أسرعت وأفرغت بقية قطرات السم منخزانة قلم الحبر في كأس البيرة ، وذلك قبل أن يهبط ميرديث من الهضبة ويصل الى باب الحديقة لكي يصحبها معه الى القصر للغداء .. وقد تخلصت من خزان قلم الحبر أثناء سيرها في الممر حيث داست عليه بقدمها .. أما أمياس ، فنحن لا ندرى ماذا كان شعوره في اللحظات الاخيرة : هل عرف الحقيقة ؟ هل داخله الشك ؟ المهم أنه أثبت اصالة فنه ، وروعة عبقريته في اللمسات الاخيرة التي رسم بها العينين في اللوحة

ثم اشار بوارو الى اللوحة المعلقة في غرفة المعمل ، وأردف قائلا :

ـ انظروا الى هاتين العينين ، وتأملوهما بإمعان .. لسوف ترون أن أمياس رسمهما بصدق غريزى ، رسمهما وهو لا يشعر . رسم عيني قاتلة ، عيني قاتلة كانت ترقب ضحيتها وهو ... يموت !

النهاية

في ذلك السكون الرهيب المخيم على الغرفة ، تلاشى آخر شعاع من الشمس الغاربة عن النافذة ، وذلك بعد أن استقر برهة على الوجه الشاحب .. وجه الزا جرير ، التي اصبحت الليدى ديتشام

وتململت هي في مكانها قليلا ، ثم قالت لبوارو :

ـ دعهم يخرجوا جميعا ...

وظلت في مكانها ساكنة حتى خرج الجميع ، فيما عدا بوارو الذي تبادل نظرات خاصة مع الاخرين ، فيليب وميرديث بليك

وأخيرا قالت :

ـ انك بارع ... بارع جدا يامسيو بوارو ، أليس كذلك ؟

ولم يجب بوارو ... وعادت هي تقول :

ـ وماذا تنوى أن تفعل بعد ذلك ؟

ـ اخبريني أنت أولا ، ماذا تنوين أن تفعلى ؟

فهزت كتفيها وقالت :

ـ انني لا أدرى ، ان حياتي في الواقع انتهت في تلك اللحظة التي سمعت فيها الحقيقة من أمياس وهو يتحدث مع كارولين في غرفة المكتبة . في تلك اللحظة ، احسست كأن شيئا في أعماق نفسي قد مات وانتهى ، لقد تحولت كل عواطفي الانسانية أو الحيوانية ، اذا شئت ، الى عاطفة واحدة ... هي الحقد والرغبة في الانتقام ، وكنت قد رأيت كارولين وهي تأخذ كمية من سم الكونين من هذه الغرفة ، وخطر لى في أول الامر أنها قررت الانتحار .. ومن ثم لم أشأ أن أقول شيئا ، ولماذا أقول ؟ أليس من الافضل لى ، ولأمياس ، ان تنتحر وتفسح لنا الطريق .. هكذا حدثت نفسي ، ولكنى حين سمعته يقول لها في صباح اليوم التالى ، انه لم يعد يهتم بأمرى في قليل أو كثير ، وأنه سيطردنى من القصر بعد أن يفرغ من الصورة ،

تذكرت فعلا هذا السم .. تذكرته وأنا التهب بالحقد عليه.. وعليها هى التى رثت لحالى ، وحزنت من أجلى ، واتهمت زوجها بالقسوة على .. ان أسعد لحظة فى حياتى ، هى اللحظة التى كنت أراه فيها وهو يموت تدريجيا . لقد وضعت السم فى كأسه الاولى ، تماما كما ذكرت انت ، ووضعت بقاياه فى الكأس التى تبقت فيها قطرات من البيرة المثلوجة التى حملتها اليه كارولين ، وكنت أتمنى أن أراها معلقة فى حبل المشنقة ، ولكن الشىء الذى لم أتبينه فيما بعد ، هو أننى قتلت نفسى أيضا بهذه الجريمة التى ارتكبتها ! يقال ان بعض القتلة يعيشون هادئين ، مطمئنين ، ما دام سرهم خافيا عن الجميع ، ولكنى لم أكن من هؤلاء ، لقد كنت أعيش وصورة أمياس فى لحظاته الاخيرة لاتفارق ذهنى ، كنت أعيش وأنا ميتة حية اذا صح هذا التعبير .. ولست ارجو منك الآن ، الا أن تتركنى حتى الصباح ، وعندئذ ستعرف أنت ، والجميع ، كل شىء ...

ونهضت كالشبح ، وسارت خارج الغرفة ، ومرت فى طريقها بشاب وفتاة ، بجون واتيرى ، وكارلا ... باثنين بدآ يشعران بجمال الحياة

وفى الصباح ، فوجىء قراء الصحف ، فى طول البلاد وعرضها بنبأ انتحار الليدى الزا ديتشام ، وباعتراف شامل ، يحمل توقيعها ، عن الجريمة التى ارتكبتها ... وقد ختمت اعترافها بقولها :

« لقد غفلت عنى عدالة الارض ، ولكن بعد ستة عشر عاما ، أمسكت بتلابيبى عدالة السماء .. حقا ان عين الله الساهرة ، لاتغفل ، ولا تنام »

القصص العالمية للجميع

الفرسان الثلاثة "جزئين"	اسكندر ديماس
الكونت دي مونت كريستو	"
ذهب مع الريح "جزئين"	مارغريت ميتشل
رجال ونساء .. وحب	جون شتاينبك
ليلة غرام	سومرست موم
كنت جاسوسا	"
غادة الكاميليا	مارسيل موريت
جريمة في الريفيرا	جورج سيمنون
الأرض الطيبة	بيرل باك
عذارى المعبد	"
ايفانهو "أو الفارس الأسود"	سير والتر سكوت
دافيد كوبر فيلد	شارلز ديكنز
أحدب نوتردام	فيكتور هيجو
الام فرتر	يوهان جوته
العجوز والبحر	ارنست همنغواي
سوف تشرق الشمس	"
الكأس الأخيرة	اجاثا كريستي
عدالة السماء	"
القاتل الخفي	"
الرجل الغامض	"
غادة طيبة	"
عذراء وثلاثة رجال	جيمس هيلتون

مطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية   حلب الشارقة الوطنية